التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 182 السنة الواحد عشرون - يناير 2023

«التوازن المالي» .. ليس ذريعــة دائمــة

تتقدم «التقدمي» بأصدق التّهاني والتّمنيّات للجميع، بمناسبة العام الميلاديّ الجديد، ٢٠٢٣، متمنين لوطننا الغالي التّقدّم والإزدهار، ولشعبنا البحرينيّ وكل الشعوب العربيّة الشّقيقة الحياة الحرة والكريمة، وأن يسود العالم الأمن والسّلم والاستقرار والعدالة.

موقفنا

القضايا الجوهريّة غابت عن برنامج الحكومة

يتسم البرنامج الذي تقدّمت به الحكومة لمجلس النواب بالعموميات ولا يشير الى أي من النتائج المرجو تحقيقها، وبغياب أى أداة أو معيار للقياس عليه، حيث يلاحظ تجاهله للأرقام والمؤشرات العامة، حتى نعرف الحالة التي نحن فيها الآن وما نهدف إلى تحقيقه. يتعلق هذا بمعدلات النمو والتضخم والبطالة، والانتقال بالحالة السياسية ومسألة الوحدة الوطنيّة والمشاركة السّياسيّة إلى واقع أفضل، وأمور أخرى.

كما تغيب هذه المؤشرات أيضاً فيما يتعلق بالسّياسات الاجتماعيّة، وبينها إعادة تنظيم سوق العمل بما يشمل بحرنة الوظائف، ومشكلة البطالة المتفاقمة، فلا يقدّم أي معطيات عن فرص العمل التي سيحققها ومدى إستدامتها، ولا خطة يعتدّ بها لمكافحة الفقر والوقوف على مستويات الدّخل الحقيقيّة للمواطنين ومسببات تآكله من ضرائب ورسوم وتضخم أسعار وحجب لعدد من جوانب الدعم.

وينطبق ذلك على الملف الإسكاني، أمام قوائم انتظار طلبات الإسكان المتزايدة، ومسؤولية الدّولة في توفير السكن اللائق، ومعالجة قروض الإسكان في ظروف الارتفاع المتسارع لسعر الفائدة الأساس.

ورغم أن الدين العام المتفاقم من أكبر التّحديات التي تواجهها البحرين، نجد أن برنامج الحكومة لا يذكره بكلمة، مع أن الدّولة دخلت بالفعل دائرة خطر العجز الكليّ عن سداد الدّين العام، بينما هي مستمرة في الاقتراض الدّاخليّ بعد أن توقفت المؤسسات الماليّة الدّوليّة عن الاستمرار في إقراضها.

والأمر نفسه يصحّ على السّياسات الضّريبيّة لتنمية إيرادات الدّولة المعتمدة على الضّرائب غير المباشرة، ويخلو برنامج الحكومة من عقيدة الدّولة بالنسبة للسياسة الضّريبية وجوهرها الاقتصاديّ الاجتماعيّ، ولم ترد فيه أية إشارة عن محاربة الفساد، بينما البلاد بحاجة إلى تفعيل إجراءات فعالة في هذا المجال، لكشف الفساد ومحاسبة المتورطين فيه.

ويغيب عن البرنامج كلية التزام الدّولة بضمان الرّعاية الصّحيّة المجانيّة كحق للمواطن، أمام المضي في ما يطلق عليه مشروع الضّمان الصّحي، الذي هو في جوهره خصخصة قطاع الرّعاية الصّحيّة، وتخلي الدولة عن مسؤوليتها فيه.

وعلى صعيد الحقوق السّياسيّة غاب النصّ على إطلاق الحريات العامة، بما فيها حق التّنظيم والتّعبير والمشاركة السّياسيّة، والتزام الحكومة بتعزيز وتفعيل حق المواطنين في التّجمع السّلمي بما فيه المسيرات والمظاهرات للتعبير عن أراءهم، وتعديل التّشريعات التي تنظم عمل مؤسسات المجتمع المدنيّ ورفع ما نصت عليه من قيود وبما يتفق مع الاتفاقيات والمعاهدات الدّوليّة، وإعادة النظر في التّشريعات الناظمة للعملية الانتخابيّة.

التقدمي

جانب من الحضور

مهدي سلمان

كريم رضي

أحمد العلوي

التقدمي يحيي ذكرى الشهيدين بوجيري والشاعر العويناتي

أحيا المنبر التقدمي الذكرى الـ 46 لاستشهاد الرفيق محمد غلوم بوجيري، والرفيق الشاعر سعيد العويناتي، عبر أمسية شعرية ضمت الشعراء، كريم رضي، مهدي سلمان، وأحمد العلوي.

وعبّر الشعراء في قصائدهم التي ألقوها عن مكانة الشهيدين وتضحيتهم بحياتهم من أجل الوطن واوفاء لأفكارهم وانحيازاتهم النضالية، كما عبرت نصوص الشعراء الثلاثة عن رمزية هذين الشهيدين في مسيرة التاريخ الوطني.

كما عرض فيلم من إنتاج المنبر التقدمي في عام 2003، من اخراج الرفيقين حسين الحليبي وأحمد الفردان، مهدى إلى ذكرى الشهيدين محمد وسعيد.

4 جمعيات سياسية تطالب بتعزيز الحريات وعدم الإنفراد في القرار

قالت ٤ جمعيات سياسية هي: المنبر التقدمي، الوسط العربي الإسلامي، التجمع الوطني الدستوري، وتجمع الوحدة الوطنية، بأنه: «على الرغم من مرور ٧٥ عاماً على صدور الإعلان العالمي لحقوق الانسان إلا أن البحرين لا زالت بعيدة عن تطبيق معظم المبادئ المتصلة بالشأن السياسي والحريات العامة التي تضمنتها هذه الوثائق الدولية رغم انضمامها لها منذ عشرات السنين».

ودعت الجمعيات السياسية في بيان لها بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان الدولة إلى العودة للمبادئ التي توافقت عليها مع المواطنين في التصويت على ميثاق العمل الوطني، معتبرة بأن: «مصادرة تلك الحقوق أو الانتقاص منها أو التمييز في أسس مباشرتها يُقوّض هذه السيادة».

فيما أكدت على: «موقفها الثابت حول أهمية ترجمة واقعية للمضامين التي عنتها منظومة مبادئ حقوق الإنسان الأساسية، والتي توافقت عليها كافة حكومات وشعوب العالم كأساس لإشاعة المساواة والكرامة الإنسانية، لتتجسد في القوانين المحلية بما يحقق الهدف الواقعي والفعلي لتلك الضمانات التي نسعى جميعنا لتتكامل في أسمى أشكالها عمقاً ونبلاً».

وشدد البيان إلى أهمية: «تجاوز المرحلة الحالية إلى فضاء وطني جامع، والارتقاء بالحياة السياسية إلى مستويات تلبي طموح المواطنين بدلاً من الانفراد في القرار، وهذا يتطلب القدرة على التخلي عن الامتيازات الفردية وخضوع المراكز القانونية في توجهها وقراراتها لتلك المبادئ والتشريعات التي يعتبر التسليم بها في الدول الديمقراطية أمراً لازماً لتحقيق الدولة القانونية، تأتي في المقدمة من تلك الحقوق حرية النقد والتعبير والاختيار، ولابد من إشراك مؤسسات المجتمع المدني، والجمعيات السياسية في رسم السياسات والحياة السياسية، مما يتطلب إعادة النظر في السياسة الحالية المتبعة من الدولة والتي أدت إلى تهميش هذه الجمعيات والتضييق على أنشطتها وعلى الحريات السياسية وإلغاء قوانين العزل السياسي».

ولفت البيان إلى أن: «الممارسة الواقعية اليومية تفصح عن سلوك بعيد عن مثل هذه النصوص الدستورية، يغيب المعنى الدستوري في الكثير من تفاصيل التشريعات القانونية الخاصة، مثل القانون المعني بالصحافة ووسائل التواصل والميديا، الذي بموجبه تجرم حرية النقد والتعبير وإبداء الرأي، حتى طالت بموجبه محاكمات عدد من نشطاء الميديا وحدّت بشكل ملحوظ دور الصحافة المحلية».

ونوه البيان إلى: «الحاجة بالفعل إلى نهج اقتصادي تنموي قائم على حقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية في مجتمعنا، نهج يسهم في رفع المستوى المعيشي للمواطنين، لا إفقارهم، نهج يجني الضرائب من أصحاب الثروات والشركات الكبيرة لاستخدامها في تحسين مستوى الحياة للغالبية العظمى من المواطنين الذين يعانون من تدني مستوى معيشتهم».

وواصل البيان: «سلسلة من التراجعات طالت مختلف مناحي الحياة والمسارات، الاقتصادية، الاجتماعية، الإدارية وهو ما انعكس على مستوى دخل المواطن إلى درجة تفشي الفقر وتفاقم مستوياته، الواقع الذي وفرّ ملاذاً غير قانوني للثراء مثل الرشوة، الفساد، المحسوبية، وغيرها من السلبيات».

البحرين في مرتبة متأخرة في مؤشر مدركات الفساد

الجمعيات السياسية: دعوة لتأسيس هيئة مستقلة لمكافحة الفساد

دعت جمعيات سياسية لإصدار قانون مكافحة الفساد يؤسس لإنشاء هيئة وطنية مستقلة لمكافحة الفساد، وتكون مهمتها وضع استراتيجية فاعلة للتصدي لكل أشكال التجاوزات والمخالفات والهدر في المال العام، ووضع تشريعات تجرم التلاعب بالمال العام بكافة أشكاله وأنواعه، علاوة على صدور التشريعات الخاصة بقانون الدين العام وحق الوصول للمعلومات وتفعيل قانون الذمة المالية علاوة على تفعيل دور قوى المجتمع المدني والمختصين والصحافة والإعلام في مكافحة الفساد.

وشددت 8 جمعيات سياسية هي (المنبر التقدمي، التجمع القومي، التجمع الوحدوي، تجمع الوحدة الوطنية، الصف الإسلامي، الوسط العربي الإسلامي، التجمع الوطني الدستوري، والمنبر الوطني الإسلامي)، في بيان لها بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة الفساد على أن: «الالتزام بمقتضيات اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد التي وقعت عليها البحرين في عام 2010 والتقيد بكل الالتزامات المترتبة عليها».

وأضاف بيان الجمعيات بأن: «قضايا الفساد التي كشفت عنها تقارير ديوان الرقابة المالية والتي لم تكشف عنها وضعت البحرين في مرتبة متأخرة في مؤشر مدركات الفساد، كما كشفت الحاجة لإصلاح البنية التشريعية والمؤسساتية الموجهة لمكافحة الفساد في البحرين وفي مقدمتها الإصلاح الديمقراطي واختيار الحكومة وتوسيع الصلاحيات التشريعية والرقابية للبرلمان وخاصة في الرقابة على أداء الحكومة ومسائلتها وتوسيع صلاحيات ديوان الرقابة المالية والإدارية في الرقابة المسبقة على الإنفاق الحكومي وإعداد تقارير وطنية مستقلة عن كافة قضايا الفساد ووضع آليات لمتابعة تنفيذ توصياته علاوة على الملاحقة القضائية وإحالة الفاسدين للقضاء».

ونوهت بأن: «تقارير ديوان الرقابة المالية كشفت خلال الأعوام السابقة عن عدة حقائق جوهرية، أهمها اتساع رقعة الفساد في وزارات ومؤسسات الدولة، وتسربه إلى أجهزة وكيانات أوجدت بعد المشروع الإصلاحي بغرض إصلاح أداء الدولة وتطويره مثل ممتلكات وصندوق العمل وتمكين»، وواصلت: «كما كشف التقارير عن أن جانباً رئيسياً من قضايا هدر المال العام مرتبط بسوء اختيار المسئولين عن المناصب الرئيسية في الدولة وعدم خضوعهم لمعايير الكفاءة وغياب الحوكمة عن أجهزة الدولة. كذلك الاستنزاف المتعمد للمال العام في مشاريع غير مدروسة وتضخيم النفقات وخاصة نفقات المشاريع والدين العام في الميزانية العامة، وبالتالي إنهاك الاقتصاد الوطني».

وأوضحت الجمعيات بأن: «تقارير ديوان الرقابة المالية سكتت عن قضايا مهمة أخرى مثل افتقار الميزانية العامة للشفافية وخاصة فيما يخص احتساب الإيرادات النفطية والعجز الدائم في طيران الخليج وعجز صناديق التقاعد والدين العام وبرامج البحرنة، كذلك الحال بالنسبة للقصور في تنفيذ البرنامج الرباعي للحكومة والذي على أساسه نالت ثقة البرلمان، وخاصة فيما يتعلق بتخفيض نسبة الدين العام وإيجاد فرص عمل للمواطنين ورفع إنتاجية وكفاءة أداء الجهاز الحكومي وغيرها من الأهداف التي وردت في البرنامج، بينما فرض لاحقاً زيادة في ضريبة القيمة المضافة وإلغاء زيادات المتقاعدين على النقيض من البرنامج الذي أقره البرلمان».

فضفضة

رحيل طائر التقدمي

عيسى الدرازي

بعد صراع طويل مع المرض، آثر الفنان خليل الهاشمي الرحيل في صمت كما كان دائماً. الطلبة والشبيبة في أيام نشاط قائمة الوحدة الطلابية قد لا يعرفونه ولكنهم كانوا يرفعون في كل محفل شعار القائمة الذي قام بتصميمه واهداءه لنا، ولا زال الكثير من القائمين على العمل الطلابي في تلك الفترة يكنون الكثير من التقدير لهذا الفنان الذي وهب لنا من فنه غصناً، كم نتمنى ان يكون اخضراره قريباً، ولكنه حديث لمناسبة أخرى.

في حوار مع الفنان الهاشمي في صحيفة الوسط في 2006، قال حينما سُؤل عما يكنه من شعور حينما قادته الظروف للعمل في سلك التدريس وتحديداً كمدرس للديكور، حيث قال: «أحسني أضحك على نفسي، فحين تحاول تمرير ما تملك، وتأخذ بمواهب التلميذ إلى الإبداع، تجد أمامك التفاصيل الوظيفية السخيفة».

استشهد بهذا الاقتباس ونحن في اعقاب مناقشة استعراض برنامج عمل الحكومة المعدّ حتى العام 2026، والذي غفل كما برنامج العمل السابق للحكومة وكذلك التشريعات النيابية عن تخصيص حيز لدعم الثقافة والمثقفين في البلد، ومغادرة الفكرة السائدة بأن العناية بالفن والثقافة والمسرح والأدب ما هي إلا ترف ويمكن الالتفات له حينما تقفز براميل النفط بأسعارها عالياً.

الفنان خليل الهاشمي الذي تصفه صفحات الموقع الالكتروني لمركز الشيخ إبراهيم بن محمد للثقافة والبحوث بأنه «من أشهر نحّاتي البحرين»، وقال عنه بأنه: تكمن قوة الفنان في قدرته على تحويل ما هو غير ملموس إلى واقع مادي ملموس، واختصار الأفكار وإرجاعها إلى مكوّناتها وعناصرها الأساسية، والنتيجة أعمال تجريدية صادقة بسيطة».

الهاشمي سيرتبط اسمه بشعار التقدمي الذي نكن له الكثير من المشاعر وندين له بالكثير الكثير من العمل. الطائر الذي يرف بجناحيه حاملاً المنبر التقدمي غادرنا غير أن ذكراه العطرة وأثره الكبير في نفوسنا باقٍ ما بقي الطير يرفّ بجناحيه.

وقفة تضامنيّة مع الشعب الفلسطيني أمام مقر «التقدمي»

نظمّ المنبر التقدمي وقفة تضامنية مع الشعب الفلسطيني الشقيق، أمام مقره في مدينة عيسى، بالتزامن مع زيارة رئيس الكيان الصهيوني للبحرين. وعبر المشاركون في الوقفة التضامنية عن رفضهم لزيارة رئيس دولة عنصرية فاشية تقتل قواته المحتلة الأبرياء وتزج في سجونها آلاف الفلسطينيين لسنوات طويلة وتهدم بيوتهم.

أكدّ المتحدثون في الوقفة على رفضهم واستنكارهم للزيارة وللتطبيع مع الكيان الصهيوني وطالبوا الدولة بالعدول عن اتفاقية التطبيع المذلة مع الكيان الصهيوني، والوقوف مع نضال ومقاومة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني وعصابات المستوطنين ومن أجل حق العودة للاجئين الفلسطينيين وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

تحدث في الوقفة التضامنية مع الشعب الفلسطيني الشقيق، الرفيق عادل متروك الأمين العام للمنبر التقدمي، والأستاذ سامي عبدالعزيز رئيس الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني والنائبة الرفيقة إيمان شويطر عن كتلة «تقدم»، النائب السابق الرفيق النقابي فلاح هاشم، والشخصية الوطنية المهندس عبدالنبي العكري، والأستاذة بدرية علي، والرفيق فاضل الحليبي.

عادل المتروك

وليد باقر

عبدالله الغانم

جانب من الحضور

المناضل المضحي الذي عاش في صمت ورحل في صمت

تـــأبيـن الـرفيـق مـوســـى دوواد

قال الرفيق عادل المتروك الأمين العام للمنبر التقدمي «إن مواقف الرفيق الراحل موسى داوود ومواقف رفاقه المماثلة كانت بمثابة مسار سلكه من بعدهم مئات الرفاق من اجيال جبهة التحرير، استمرّ امتدادهم في المنبر التقدمي ولازال حتى اليوم، ونحن اليوم ندين لهم ونشعر بالفخر كوننا نواصل ما بدأوه، فحملنا ذات المبادئ التي أضاءت حياتهم وهي تضيْ الآن حياتنا».

بدوره قال الرفيق أحمد الديين، في كلمة ألقاها بالنيابة عنه الرفيق وليد باقر: «إن موسى داوود موسى داود عامل كادح ومناضل صلب، ناضل في صفوف جبهة التحرير الوطني، وشارك في انتفاضة مارس 1965، وخلالها وبعدها ساهم في توزيع المنشورات ونثرها كالورود في الأزقة القديمة، وقام بكتابة الشعارات الكفاحية على الجدران، التي كانت وسيلة التعبير الرائجة عن صوت الشعب، وساهم في بثّ الوعي السياسي والوطني والديمقراطي والتقدمي في صفوف الناس، وسعى لبناء التنظيم وتوسيعه وتقويته، واجتهد لتثقيف نفسه بالقراءة والاطلاع.

جاء ذلك في حفل التأبين الذي أقامه المنبر التقدمي للرفيق الراحل، قدّم المتحدثين فيه الرفيق فيصل خليفة، حيث عدّد المتحدثون مآثر الراحل النضالية، الذي رحل عنا في 18 نوفمبر الماضي، بعد معاناة لمدة عشر سنوات مع المرض، بعد حياة حافلة ناضل فيها بصمت ونكران ذات من أجل حقوق ومطالب الطبقة العاملة وسائر الكادحين في بلادنا في سنوات النضال ضد المستعمر البريطاني والرجعية ووصل نضاله في الحقبة التي تلت السنوات الأولى على استقلال البحرين.

وفي كلمته أشار الأمين العام إلى ما عاشه الراحل من حرمان وفقد للوطن والرفاق والأهل والحبيبة في متاهات الغربة، بعد عامين من الاعتقال الإداري، قضاهما في السجن الإنفرادي، حيث أعتقل مع كوكبة من قيادات وكوادر جبهة التحرير منتصف الستينات.

وقال الرفيق أحمد الديين: «عرفته في الكويت بعد نفيه إليها، وتوثقت علاقتنا الرفاقية في أواسط السبعينات... كنت أزوره بانتظام في مسكنه المتواضع الملحق بإحدى عمارات حولي القريبة من الطريق الدائري الرابع، ذلك المسكن المضياف الذي عرفه العديد من مناضلي الجبهة ومراسليها ومنفييها عند ترددهم على الكويت، وبينهم مَنْ أقام فترة في تلك الغرفة الوحيدة، بينهم الرفيق الراحل حميد عواجي في العام 1975 في الأشهر الأولى التي أعقبت الانقلاب على الدستور «.

وأضاف: «كنت ألقى رفيقنا موسى أكثر من مرة في الأسبوع، إما أيام العطل أو بعد عودته من ساعات عمله المرهقة في محطة توليد الطاقة الكهربائية وتقطير المياه ليستقبلني كعادته بابتسامته الهادئة، وبعدها أصطحبه إما إلى مقر الاتحاد العام لعمال الكويت في ميدان حولي أو إلى نادي الاستقلال أو إلى منزلي ومنازل رفاقنا الآخرين، قبل أن ينتقل إلى منطقة الصباحية جنوبي الكويت ليكون قريباً إلى مقر عمله من جهة، ومن جهة أخرى قريباً من مناطق الطبقة العاملة، حيث توطدت علاقته حينها مع السكرتير الأول لحزبنا الرفيق عمار العجمي أبي ناصر، الذي كان هو الآخر يسكن الصباحية، ومن خلاله توسعت علاقات الرفيق موسى مع الرفاق القادة النقابيين العماليين الكويتيين وفي مقدمتهم ناصر الفرج رئيس الاتحاد العام لعمال الكويت».

كلمة العائلة

وألقى الرفيق عبدالله الغانم، زوج ابنة الراحل، كلمة العائلة، وفيها قال إنه «عاش بصمت ورحل بصمت، وحتى زفافه الأخير لمدفنه كان صامتاً ومتواضعاً. غادر دنيانا ولكن بقى حياً في ذاكرتنا، مضيفاً: «بقربي منه في السنوات القليلة الماضية، رأيت فيه شخصية المناضل الحقيقي الناكر للذات، المحب لوطنه والمخلص لوحدة حزبه. رأيت فيه الطيبة وحسن الخلق مع جميع من خالطهم في حياته سواء كانوا رفاقه في المعتقل أو المنفى أو في العمل أو في حياته الاجتماعية مع جيران المنطقة أو من يعملون في البقالات من الجاليات الأخرى. فجميعهم يشهدون له بحسن خلقه وطيبة قلبه».

وتضمّن حفل التأبين عرض بعض من صور الرفيق الراحل موسى داوود في مراحل مختلفة من حياته، وما ناله من شهادات في دورات تدريبية.

«طائر» التقدمي يحلق راحلاً ... الهاشمي وداعاً

نعى المنبر التقدمي الرفيق والفنان البارز خليل الهاشمي الذي غادر بعد معاناة مع المرض، رغم انه لم يحل بينه ومواصلة ابداعه، كنحّات بارز على مستوى البحرين وخارجها. والفقيد حاصل على شهادة الماجستير في النحت من أكاديمية الفنون الجميلة في لينينغراد (سانت بطرسبورغ حالياً)، في الاتحاد السوفيتي عام 1980، واضطرته الظروف، بعد انهاء دراسته، للعيش مع عائلته في دولة الكويت الشقيقة التي عمل معلماً للفنون في مدارسها، قبل أن يعود إلى البحرين.

والفنان الراحل عضو في جمعية البحرين للفنون الجميلة، وعرضت أعماله في بلدان خليجية وعربية وأجنبية، وأقام عدداً من المعارض في البحرين، في المتحف الوطني وعمارة بن مطر ودار البارح للفنون، وحصل على العديد من الجوائز خلال خمسة عقود من اشتغالاته الفنية، وتقديراً لمساهمته العظيمة في مجال الفنون البصرية، بينها جائزة «إنجاز العمر» من مجلس التعاون الخليجي تقديراً لتميز أعماله وتنوع موادها كما مواضيعها، وعرف بمنحوتات الطيور الأيقونية، التي تمتاز بأناقة التكوين والحرفية الفائقة.

وتقديراً لإبداعه ولمكانته الفنية، وضعت هيئة الثقافة والتراث الوطني عمله النحتي المميز «سرب طيور» على مدخل مدينة المحرق، عند تقاطع شارع الغوص، بالقرب من «مستشفى الملك حمد»، ويذكر أن الفنان الراحل هو مصمم شعار (لوغو) المنبر التقدمي، كما سبق له أن صمم مجموعة من الملصقات والشعارات في المناسبات الوطنية.

وفاة عامل وإصابة آخرين في مشروع تصريف مياه الأمطار

لقي عامل وأصيب آخرون في أحد الخنادق المحفورة لمشروع تصريف مياه الأمطار في منطقة اللوزي. وأصدرت النقابة العامة للإنشاء والمقاولات والخدمات بياناً أعربت فيه عن أسفها على الحادث وطالبت وزارة الأشغال ضرورة التشديد والرقابة على جميع المقاولين العاملين تحت اشرافهم.

كما طالبت النقابة في بينها «وزارة العمل متمثلة بقسم التفتيش العمالي والسلامة المهنية بفتح تحقيق حول أسباب الحادث، داعية قسم التفتيش العمالي والسلامة المهنية بضرورة الاشتراط على مقاولين الصرف الصحي ضرورة ان يكون هناك مسؤول عن الصحة والسلامة وان يكون العمال متدربين على قواعد الصحة والسلامة المهنية وخصوصا بعد تكرار في حالات الوفاة والإصابات المتعلقة بالصرف الصحي».

من جانبه، صرح رئيس نيابة الوزارات والجهات العامة أن النيابة العامة قد أخطرت من مركز شرطة مدينة حمد الجنوبي بوقوع انهيار رملي بأحد الخنادق المحفورة بمشروع تصريف مياه الامطار بمنطقة اللوزي، وقد نتج عن ذلك وفاة أحد العاملين وإصابة أربعة أخرين ونقلهم لمستشفى السلمانية الطبي والمستشفى العسكري لتلقي الرعاية الطبية اللازمة.

وفور تلقي النيابة العامة الإخطار انتقل فريق من أعضاء النيابة العامة لمكان الحادث، وقاموا بإجراء المعاينة اللازمة لموقع الحادث ومكان الانهيار الرملي، كما تم مناظرة جثة المجني عليه، والاستعلام عن حالة المجني عليهم المصابين لسماع أقوالهم، وقد ندبت النيابة العامة الطبيب الشرعي لتوقيع الكشف الطبي الشرعي على جثة المجني عليه للوقوف على سبب الوفاة وفحص المجني عليهم المصابين لبيان ما بهم من إصابات وكيفية حدوثها وتحديد مدة العلاج، كما أمرت النيابة بالتحفظ على مكان الحادث وندبت خبراء مسرح الجريمة لإجراء المعاينة اللازمة، كما ندبت خبراء السلامة المهنية بوزارة العمل للوقوف على سبب الانهيار الرملي، وطلبت تحريات الشرطة حول الواقعة، ولازالت التحقيقات جارية للوقوف على حقيقة الواقعة وأسباب حدوث الانهيار الرملي وتقديم المتسببين في الوفاة وإحداث إصابات العاملين للمحاكمة العاجلة.

موقع وفاة العامل

نقـــابـــات تتضـــامـــن مـــع عمـــال جـــارمكـــو

أصدرت 14 نقابة عمالية بياناً تضامنياً مع نقابة عمال جارمكو حول ما وصفته «بالخطوات التصعيدية والاستفزازية التي أقدمت عليها إدارة الشركة ضد النقابة بتقديم شكوى لمركز الشرطة على إثر الوقفة الاحتجاجية التي قام بها أعضاء النقابة احتجاجاً على فصل أحد الموظفين تعسفيا».

وأكدّ البيان الذي وقعته: النقابة العمالية لشركة ألبا، نقابة طيارين طيران الخليج، النقابة العامة للمضيفين الجويين، نقابة أسرى العمالية، النقابة العامة للإنشاء والمقاولات والخدمات، نقابة التأمين، نقابة شركة الحد للطاقة، نقابة ميدال للكابلات، نقابة العاملين في شركة ارامكس، نقابة عمال شركة دي اتش ال، النقابة العمالية العامة لمجموعة الفولاذ، النقابة العامة لعمال الموانئ البحرية، نقابة عمال بلكسكو، على رفض تلك الخطوات التصعيدية من قبل إدارة الشركة، مشيرة إلى أنه: «إجراء غير قانوني ويتناقض بشكل صريح مع بنود الدستور ومواد ميثاق العمل الوطني اللذان يحميان حرية العمل النقابي للعمال دون تمييز، ومع قانون النقابات ومع كافة الاتفاقيات والأعراف والمعاهدات العربية والدولية».

وقال البيان بأن: «إصرار الادارة على اتخاذ الإجراءات الخاطئة وعدم الاعتراف بالنصوص الدستورية ونصوص القانون النقابي ونصوص الإتفاقيات العربية والدولية سيؤدي إلى مزيد من الاحتقان ويؤثر سلباً على استقرار الشركة وعلاقات العمل وعلاقة النقابة بصاحب العمل، وتابع: «وهو ما يعتبر تمييزاً واضحاً بين العمال في حقهم المشروع والأصيل في ممارسة حقهم النقابي ومواجهة مختلف الانتهاكات العمالية بالسبل التي كفلها القانون ودرجت عليه الأعراف النقابية».

زيادة أعداد «الأجانب» في «الخاص»

كشف تقرير صادر عن الهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية عن زيادة أعداد المشتركين البحرينيين خلال الربع الثالث من عام 2022 بنسبة 3٪ في القطاع العام، و4٪ في القطاع الخاص، مقارنة بالفترة ذاتها من العام 2021.

وبحسب التقرير، بلغ إجمالي عدد المشتركين المسجلين في الهيئة 607 آلاف و632 مشتركًا، بينهم 149 ألفًا و321 بحرينيًا، بينهم 33٪ يعملون في القطاع العام، و67٪ في القطاع الخاص، ويمثل الذكور نسبة 59٪، والإناث 41٪.

وبالنسبة للمؤمن عليهم المستجدين، بيّن التقرير أنه تم تسجيل 1147 في القطاع العام، بينهم 471 ذكور، و677 إناث، و5731 في القطاع الخاص، بينهم 2948 من الذكور، و2783 إناثًا.

وفيما يتعلق بغير البحرينيين، فقد بلغ عددهم 458 ألفًا و311 غير بحريني مسجلين بالقطاع الخاص، بينهم 418 ألفًا و401 ذكور، و39 ألفًا و910 إناث، وبلغ عدد المستجدين 66 ألف و353 مؤمنًا عليه، بينهم 59 ألفًا و782 ذكور، و6571 إناث، إذ بلغ نسبة الزيادة 9٪، وأشار التقرير إلى أن إجمالي عدد المتقاعدين بلغ 78 ألفًا و363 متقاعدًا، بينهم 34 ألفًا و313 متقاعدًا من القطاع العام بنسبة 44٪، و44 ألفًا و50 متقاعدًا من القطاع الخاص بنسبة 56٪.

وبلغت نسبة المتقاعدين من الذكور 64٪، بينما بلغت نسبة المتقاعدات الإناث 36٪، وسجل الربع الثالث من العام 2022 نسبة زيادة بلغت 5٪ في أعداد المتقاعدين مقارنة مع الربع الثالث من عام 2021.

ووفقًا للتقرير، فقد بلغ عدد المتقاعدين الجدد «التقاعد المبكر» من القطاع العام 416 متقاعدًا، بينما بلغ عدد المتقاعدين مؤخرًا في القطاع الخاص 2277 متقاعدًا.

«الأيام» – 18 ديسمبر 2022

كاريكاتير خالد الهاشمي

حول رسوم الدخول للحدائق العامة

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

نقابة بابكو تؤكد استحقاق الزيادة والحافز للعامل

جانب من الاجتماع

استعرضت نقابة العاملين في شركة نفط البحرين «بابكو» في اجتماع مع الرئيس التنفيذي للشركة عدداً من المطالب العمالية الملحة التي سبق للنقابة إعلانها في الاحتفال الذكرى العشرين على تأسيس النقابة، وقد كان في مقدمة تلك المطالب استحقاق الزيادة السنوية والحافز». كما وتطرق الاجتماع إلى جملة من المطالب والاستحقاقات التي تأمل تحققها في أقرب وقت منها تحسين العلاوة الاجتماعية وتطبيق التأمين الصحي لعوائل الموظفين، بالإضافة الى البنود العالقة المذكورة في التقرير الأدبي للمجلس السابق، وان الفرصة مواتية ليلقى عمال بابكو كل ما يستحقون في ظل نمو الربحية وتربع القطاع النفطي على قمة مصادر الاقتصاد الوطني، وما وصلنا اليه من مراحل متقدمة في مشروع تحديث المصفاة كفيل بتحقيق آمال العمال والتطلع الى سنة قادمة أكثر ايجابية.

«تقدّم» : برنامج وطني شامل لمعالجة إخفاقات البطالة والإسكان والصحة وسوق العمل

أكدّت كتلة تقدم البرلمانية على أهمية التركيز خلال الفترة القادمة من مسيرة العمل الوطني على وضع وترسيخ المبادرات الوطنية الفاعلة لتحديد الأولويات الوطنية والتي أكدها الخطاب السامي في افتتاح دور الانعقاد الأول من الفصل التشريعي السادس.

وأشارت إلى ضرورة «ربط جميع القضايا والمبادرات ببرنامج وطني شامل ذي سقف زمني محدد، توضع له الموازنات ومؤشرات الأداء والقياس الفاعلة، مع معالجة أسباب الاخفاقات التي تسببت فيها بعض البرامج الحكومية السابقة والتي راكمت بدورها مشاكل معقدة في قضايا البطالة وسوق العمل البحريني والإسكان والتعليم والصحة وبقية الخدمات التي تقدمها الدولة".

وقالت الكتلة في بيان لها بمناسبة افتتاح الفصل التشريعي للبرلمان الحالي بأنه: "من أهم ما يمكن البدء فيه خلال الفترة المقبلة ضرورة السعي المشترك لتحقيق استدامة الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والمعيشي لمختلف الشرائح المجتمعة، مع إعطاء اهتمام خاص بالشرائح الضعيفة من المجتمع وتعزيز دور الطبقة

الوسطى والتي هي عماد نهضتنا الاقتصادية، لما تملكه من مقومات وامكانات من شأنها أن ترفد مسيرة التنمية والعمل الوطني بشكل عام".

كما شدد البيان على: "ضرورة الالتفات إلى أوضاع الناس واحتياجات الأسر والافراد لانتشالهم من حالات الفقر والتراجع المعيشي والإحباط إلى حالات متجددة ملؤها الأمل والتفاؤل، وتحسين أوضاعهم المعيشية"، مستدركاً: "عبر مبادرات ترتبط بتحسين الأجور وإعادة رسم سياسات الدعم على أسس موضوعية تنعكس إيجابا على تعزيز أوضاع الشرائح الضعيفة من المجتمع على وجه التحديد، مع ضرورة الاهتمام بأوضاع شريحة المتقاعدين والبدء بإستعادة الزيادة السنوية لهم عبر إجراءات ومبادرات مالية تلتزم من خلالها الدولة بقوننة تلك التوجهات، وذلك حفاظا على أوضاع هذه الشريحة الهامة".

ودعت الكتلة في بيانها إلى: "إيجاد معالجات وحلول حقيقية لمشكلة البطالة، مع عدم الركون لتلك النسب والأرقام غيرالحقيقية، التي تزيد من تفاقم أزمة البطالة ولا تساعد أبدا على وضع الحلول الناجعة لها"، وأضافت: "لتكن لدينا في معالجات بعض دول الجوار الحصيفة والجادة أسوة نهتدي بها لحل هذه المعضلة الوطنية، ووضع الحلول الوطنية الفاعلة لإعادة تنظيم سوق العمل بما يكفل إنصاف شباب الوطن جميعهم عبر مشروع إحلال وطني متدرج للكوادر الوطنية في سوق العمل وإعطاءهم الأولوية في التوظيف وبأجور عادلة ومنصفة".

بمناسبة يوم المرأة البحرينية

الشويخ : ضرورة إزالة كافة أشكال التمييز ضد المرأة

أكدّ عضو كتلة «تقدم» البرلمانية النائب الدكتور مهدي الشويخ على: «أهمية إنصاف المرأة في التّشريعات والحقوق»، مشدداً على ضرورة «تعزيز سياسات رعاية الأمومة والطفّولة وتطوير وتوفير متطلبات النهوض بها سواء في ظروف العمل أو في الحياة العامة».

وقال الشويخ بمناسبة يوم المرأة البحرينية الذي يصادف الأول من ديسمبر من كل عام بأن: «المرأة البحرينية حققت نجاحات كبيرة في مختلف القطاعات واستطاعت بكل اقتدار أن تشغل كل المواقع والميادين بفاعلية ونجاح».

وأضاف: «المرأة البحرينية تستحق المزيد من التشريعات والقوانين التي تصب في صالحها وتخدم قضاياها، ومنها العمل على تغيير قانون الجنسية بحيث ينص على حقّ المرأة البحرينية في إعطاء جنسيتها لأبنائها أسوة بالرجل، وتعديل المواد التي تحطّ من كرامة المرأة وتنتقص حقوقها في قانون أحكام الأسرة وإنهاء كل أشكال معاناة النساء المعلقات والمهجورات».

وأشار الشويخ إلى أن: «المرأة العاملة تحتاج إلى المساندة والدعم فيما يتعلق بالتشريعات والقوانين لضمان مساعدتها على التوفيق بين عملها والتزاماتها الأسرية، بما يحقق استقرارها الأسري ومن ثم مساهمتها الجادة في عملية التنمية»، وأضاف:» كما أنه

الدكتور مهدي الشويخ

من المهم تعديل البنود الخاصة في قانون العمل بما يتفق مع الاتفاقيات الدولية التي صادقت عليها مملكة البحرين الخاصة بحقوق المرأة وعلى رأسها اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو) ورفع التحفظات عنها».

مشدداً على «معالجة ملف البطالة بين النساء عبر رؤية شاملة تستلزم وضع سياسات تدعم المرأة وتعزز من التوفيق بين عملها وأسرتها ووضع خطة وطنية لإحلال المواطنات البحرينيات في وظائف تشغلها عمالة أجنبية، الأمر الذي سيخفض نسبة البطالة لدى الإناث ويرتفع بالتالي مساهمة المرأة في التنمية».

وأوضح الشويخ بأن: «برنامج «تقدّم» الانتخابي يؤمن بحق المرأة في المشاركة الكاملة في مختلف ميادين العمل ويدعم مساواتها في الحقوق والواجبات مع الرجل»، ويؤكد على «حق المرأة في المشاركة الكاملة في مختلف ميادين العمل، وتحقيق التوزان في الحقوق والواجبات مع الرجل بما يدعم عدم التمييز ضد المرأة».

منوهاً إلى: «أهمية تعزيز دور المرأة في المجتمع وإزالة كافة أشكال التمييز الواقعة عليها ومنحها حقوقها الطبيعية كاملة، وضرورة سنّ مجموعة من القوانين والتّشريعات لحماية الأسرة باعتبارها نواة المجتمع، وبما يعود بالفائدة على الاستقرار الاجتماعيّ».

مطرقة البرلمان

«التوازن المالي» .. ليس ذريعة دائمة

عبد النبي سلمان

ثمة أسئلة عديدة باتت تطرح بقوة في الشارع البحريني، خاصة في هذه الفترة التي تلي انتهاء الانتخابات النيابية والبلدية، وبعد أن أدى نواب الشعب قسمهم الدستوري إيذانا بافتتاح دور الإنعقاد الأول من الفصل التشريعي السادس، وهي فترة مليئة بالكثير من التوقعات والتوجسات على حدٍ سواء، فهي في المقام الأول تأتي مباشرة بعد انقشاع مخاطر فترة جائحة كوفيد – ١٩ وما خلفته من تراجع اقتصادي وانكفاء على اكثر من مستوى، مع توقف شبه تام لقطاعات اقتصادية وتجارية، وانعكاس كل ذلك على واقع الناس المعيشي والحياتي بشكل واضح.

أهم تلك الأسئلة التي تتداولها المجالس والمنتديات تتمحور بشكل تلقائي حول مخاوف وتوجسات الناس المشروعة وما ستحمله الأيام والأشهر القادمة اليهم من أخبار يتمنون جميعهم بكل تأكيد ان تكون مفرحة، وحتى القيادة السياسية للبلاد ومعها الحكومة تتمناها أن تكون كذلك، لكن ثمة امور لابد من الحديث حولها على الرغم من أن اقتصادنا الذي بات منتعشاً بحسب الأرقام المعلنة من قبل الحكومة والبنك الدولي، ومؤسسات تصنيف الإئتمان الدولي تؤكد على إمكانية تحقيق معدلات نمو جيدة لاقتصاد البحرين مع نظرة مستقرة تبعث على التفاؤل.

يحمل ذلك الدولة مسؤوليات مضاعفة حول أهمية أن يستشعر الناس تبعات هذا الاستقرار والتفاؤل، خاصة وأن أسعار النفط باتت تنحو باتجاه ايجابي منذ مطلع العام المنقضي 2022 على الأقل حتى الآن، مما يعطي أملاً ومزيداً من التفاؤل للناس نحو ضرورة تجسير الفجوات المعيشية التي خلقتها سنوات من المصاعب المالية التي لسنا هنا في وارد الحديث حولها تفصيلاً، فجوات في الأجور والرواتب والمعاشات التقاعدية، مقارنة بما خلقه تضخم الأسعار والسلع وانعكس بشكل مباشر وملموس على دخل الأفراد والأسر، وأثرّ سلبا في مجمل الدورة الاقتصادية وقدرات المواطنين الشرائية وبالتالي سرعة دوران العجلة الاقتصادية وتراجع الإنفاق الحكومي بالنسبة للكثير من المشاريع الحيوية.

تلك أمور لا بد من التذكير بها ولو بعجالة، إلا إننا نريد أن نؤكد من خلالها أن تطلعات الشارع البحريني باتت ملحة باتجاه ضرورة سرعة الالتفات للطبقات الفقيرة والمتوسطة أو التي جرفتها الأوضاع الاقتصادية إلى مستويات مقلقة ومتدهورة من الفقر والعوز، نعم العوز لأن ذلك ما نلمسه بوضوح ونحن نعايش واقع الناس المعيشي، وهو ما تلمسه الصناديق الخيرية التي باتت عاجزة عن الوفاء بالتزاماتها تجاه الطبقات الفقيرة المعتمدة على مساعدات اجتماعية أهلية ورسمية، حيث يبلغ حجم الأسر المعتمدة على تلك الدعومات والبرامج أكثر من 17 ألف أسرة بحسب الأرقام الرسمية المعلنة، ونجزم أن النسبة إلى ارتفاع بكل تأكيد، خاصة مع تغوّل البطالة على الأسر وشحّ فرص العمل في السوق البحريني والتي بحسب احصاءات صندوق العمل لازالت قادرة على توليد المزيد من فرص العمل النوعية، لكنها للاسف تذهب في غالبيتها لغير أبناء الوطن، نظرا لتشوهات مزمنة أضحت تعاني منها سوق العمل البحرينية منذ سنوات دون إيجاد حلول جادة وحقيقية لها.

وهنا نتوقف لنقول إن المعالجات المطلوبة من قبل الناس في الشارع البحريني باتت في وضع اشبه بالمقارنات بينها وبين ما تنتهجه أسواق العمل في دول الجوار الخليجي، التي استشعرت منذ فترة، حتى قبل الجائحة، ضرورة الالتفات للوضع المعيشي والاجتماعي من جوانبه المتعددة، فسياسات التوظيف يجب سرعة اعادة النظر فيها لتصبح أكثر فاعلية ومصداقية، وسياسات الدعم المقدمة للسلع والخدمات يجب أن يعاد رسمها وهندستها لتصبح عبارة عن رافعة لأوضاع المواطنين المعيشية، خاصة وأن الوفرة المالية النسبية التي تحققها اسعار النفط المرتفعة مرشحة للاستمرار ضمن معدلاتها، في ظل ما يشي به الوضع الإقليمي والعالمي من توترات انعكست ولازالت على ارتفاع أسعار الطاقة المورد الرئيس لدولنا الخليجية، على الرغم من استمرار غياب سياسات حصيفة ومؤثرة بالفعل لتنويع قاعدة موارد الدولة.

أمام أوضاع مقلقة كهذه لا بد من المصارحة بالقول إن على الحكومة ومجلس النواب الاستثمار الجيد للوقت المتاح أمامهما انطلاقاً من برنامج الحكومة المعروض أمام المجلس، لتفعيل سياسات دعم وتوظيف وبرامج ومبادرات اقتصادية ومعيشية من شأنها أن تشيع حالة من الارتياح لدى اوسع الشرائح وتعيد للإنسان البحريني حالة طال انتظارها من التفاؤل والثقة في المستقبل، وليس حصيفاً الاستمرار بالتذرع دائماً بسياسات التوازن المالي إلى ما لا نهاية، فكلنا نعرف أن التوازن المالي بني أساساً على ضرورة اطفاء عجوزات الميزانية وهناك توقعات بالوصول لحالة من التوازن مع نهاية عام 2022، وهذا ما نرجوه.

وفي المقابل لا يستطيع الناس الانتظار أكثر مما انتظروا ليروا أن رواتبهم التي أكلها التضخم وتوقف زيادات المتقاعدين السنوية، بعد تعديل القانون بطريقة ظالمة طالما رفضناها ودعونا الى رفضها. وبالمثل أيضاً فإن اعادة رسم سياسات الدعم بصورة أكثر عدالة، كما جاء في البيانات الرسمية يجب أن لا تعني الانتقاص من مكتسبات المواطنين تحت أي ذريعة، وأعتقد أن أمام حكومتنا مخارج جد مهمة لتنويع قاعدة موارد الدولة، ويأتي على رأسها فرض ضرائب طالما نادينا بها على أرباح الشركات، وقد سبقتنا إلى ذلك معظم دول الجوار الخليجي، وآخرها كانت دولة الامارات العربية المتحدة التي اقرت ضريبة بمعدل 9٪ على أرباح الشركات الكبرى، وهي خطوة في الاتجاه الصحيح وستعود على الدولة بالكثير من الموارد، ولن يؤثر ذلك في حال التوافق حوله على تنافسية البحرين التي نادت بها رؤية 2030، وفي حال اقرار ذلك فإن الدولة يجب أن تكون في غنى عن إرهاق جيوب المواطنين بمزيد من الضرائب والتبعات التي جعلت من حياتهم جحيما لا يطاق.

تلك بعض المؤشرات التي يجب أن تذكر بوضوح في برنامج الحكومة المعروض حاليا أمام مجلس النواب، والذي يرسم لتوجهات الدولة التنموية والاقتصادية للأربع سنوات القادمة، والذي يجب أن يربط مع مشروع آخر مهم سيصل للبرلمان نهاية شهر مارس القادم كما هو مرجح، وهو مشروع الميزانية، ومن خلال هذين المشروعين نستطيع أن نقرأ بالفعل توجهات الدولة بعيداً عن الأرقام والنسب التي عادة لا تصمد أمام إرهاصات الاوضاع المعيشية والمالية والاقتصادية..إنه التحدي القادم أمامنا جميعاً، مجتمعاً وحكومة وبرلماناً، لنعبره بأمان ودون اية هزات اجتماعية أو تراجعات لا سمح الله، فليس أمامنا إلا خيار النجاح للنهوض مجدداً بعزيمة واصرار وتفاؤل بالمستقبل.

سعيد العويناتي وعبدالعزيز الفارسي .. تقاطع ذكرى الميلاد والاستشهاد*

ليس بعيداً أبداً عن الموضوع على الإطلاق، بل في صميمه ولُبّه، كان سعيد العويناتي شاعراً واعداً وموهوباً بدأ لتوّه تعليمه الجامعي في بغداد، وكان أيضاً كادراً تنظيميًّاً في جبهة التحرير الوطني البحراني (أعني في مرحلة العمل السياسي السرّي قبل أن تتحول الجبهة التي تأسست في ١٥ فبراير ١٩٥٥ إلى جمعية سياسيَّة معترف بها تعمل اليوم، بعد نضالات السنين وتضحياتها المريرة، بصورة شرعيَّة وعلنيَّة تحمل اسم «المنبر التقدمي» اعتباراً من ١٤ سبتمبر٢٠٠١).

عبدالله حبيب **

وفي أحد أيام سنوات النار والحديد الماضية تلك، وتحديداً في 12 ديسمبر 1976، ألقي القبض على الشاعر/ المناضل سعيد العويناتي (يُقال إن ثمَّة وشاية كانت في الأمر، ويقال إن نسخاً من بعض قصائده قد "ضُبِطَت" مُتَلبِّسة بالحرية في حوزة جندي في الجيش فكان هذا سبباً كافياً للموت، وتقال أشياء أخرى)، وخلال أربع وعشرين ساعة فقط من بدء الاعتقال لم يعد العويناتي بيننا. خلال أربع وعشرين ساعة فقط صار يتحتَّم الحديث عنه بصيغة الماضي. خلال أربع وعشرين ساعة فقط لم يعد سعيد العويناتي موجوداً هنا على الأرض، بل ذهب إلى مكان آخر؛ ذلك "المكان الذي لا يعود منه أحد" وفقاً لشكسبير مرة أخرى.

بعد ذلك دار الحديث وتبودلت التكهُّنات والتوقعات عن مسألة "الأربع وعشرين ساعة" تلك، وعما حدث خلالها؛ إذ لا أحد يعرف على وجه الدِّقة كم بالضبط تمكَّنت روح العويناتي من الحياة في منزل الوحش: مجرد دقائق قليلة قبل انهيال العصي واللكمات؟ ساعة أو بعض ساعة قبل اندلاق الكهرباء في الجسد وتهشيم الجمجمة؟ بضع ساعات في الغيبوبة يمكن أن يكون قد وصل حدها الأقصى في الهول إلى أربع وعشرين؟ لا أحد يعرف على وجه التحديد والدقة، لكن بعد أربع وعشرين ساعة من رؤيته الشمس لآخر مرة كان سعيد العويناتي يرى إلى العالم من تحت التراب.

بعد سنوات طويلة من ذلك كتب الدكتور حسن مدن مستذكراً صديقه ورفيقه سعيد العويناتي ملفتاً الانتباه إلى حقيقة مُفارِقَة بالقول إنه حدث شيء غريب؛ فالمعهود من الأشياء أن يُعتَقَل كادرٌ سياسيٌّ ما، وبعدها يُقاد إلى الغرف المظلمة، ثم تتناقل الألسن ما يتسرب من الأخبار من المعتقَل وأساليب وطرائق التحقيق، ثم يدري الناس عن الحكم الصادر بحق الأسير مهما بلغت قسوته.

لكن في حالة سعيد العويناتي (والكلام للدكتور مدن) حصل العكس تماماً: عرفنا عن استشهاده أولاً، ثم علمنا عن اعتقاله ثانياً.

تكرر الأمر في حالة عبدالعزيز الفارسي (مع إن الظروف والحيثيَّات المباشرة مختلفة بعض الشيء من اختلاف السياق، ولكن من الخارج فقط): لقد علمت الغالبية العظمى من مرضى، وأصدقاء، وزملاء، بل وبعض من أهل فقيدنا الحبيب عبدالعزيز الفارسي، عن وفاته أولاً قبل أن يعرفوا أنه كان مريضاً في الأساس، وأنه كان مُنَوَّماً في المستشفى تحت رحمة الملائكة. ومثل سعيد العويناتي، لم تمهل الملائكة عبدالعزيز الفارسي إلا قليلاً جداً.

وأستحضر هنا أن تاريخ ميلاد عبدالعزيز الفارسي يتقاطع مع تاريخ استشهاد سعيد العويناتي في نفس العام بفارق بضعة شهور فقط: الأول ولد في 27 أغسطس 1976، أما الثاني فقد قضى تحت التعذيب في 12 ديسمبر 1976. هكذا آخى الموت الذي، في العادة، يميِّز الأحياء من الأموات بين سعيد العويناتي وعبدالعزيز الفارسي، تاركاً العبرة، والوجد، والوجود في القراءة والكتابة.

هكذا ننتظر حتوفنا في تواريخ الذاكرة والذكريات.

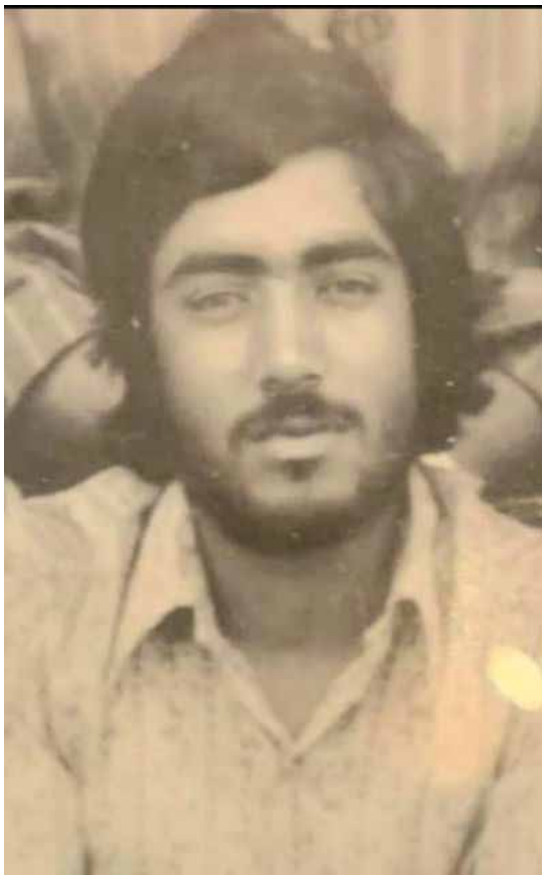

*مقتطف من مقال للكاتب بعنوان: «عبدالعزيز الفارسي.. لقاءات مُشَظَّاة، وداعٌ ليس في وقته»، نشر في جريدة «عمان» عدد 12 ديسمبر 2022

** أديب وسينمائي من سلطنة عمان

رفيق الزنزانة

في شهر نوفمبر ٢٠٢٢ كان معظم الرفاق والأنصار والأصدقاء منشغلين بدعم مرشحي كتلة "تقدّم" في الحملات الانتخابية للمجالس النيابية والبلدية، وقبل بدء الجولة الأولى من التصويت أتانا الخبر الحزين برحيل الرفيق موسى داوود، وبالرغم من هذا الحدث الأليم لم يتقاعس الرفاق عن حضور مراسم التشييع وتقديم العزاء، لما للرفيق موسى من تاريخ مشرف ومضيء ضمن نضالات الرفاق المنتمين لجبهة التحرير الوطني البحرانية.

حسن جاسم رضي

الفقيد موسى داوود

واستناداً لما كتبه الرفيق موسى نفسه مطلع فبراير 2005 تحت عنوان "ذكريات مناضل" أنه في ظروف الحرب العالمية الثانية التي امتدت آثارها على الوطن العربي، وبالتحديد في ديسمبر 1941 كان موعد ولادته في بيت قديم مصنوع من السعف واقع في فريج التلغراف بالمنامة، حيث تعود تسمية ذلك الفريج إلى تأسيس أول محطة ارسال من قبل شركة «كيبل أند وآيرلس» البريطانية، فتربى في ذلك البيت حتى بلغ السادسة من عمره. تعلّم القران في فريج العوضية القريب من مقبرة البحارنة وحفظه خلال ستة أشهر.

في عام 1954 التحق بالمدرسة الأهلية لصاحبها المرحوم الأستاذ عبدالرسول التاجر، فدرس فيها اللغة الانجليزية والقواعد ومسك الدفاتر والطباعة لمدة أربع سنوات، ثم التحق بالمدرسة الشرقية في رأس رمان لمدة سنة واحدة فقط، فحيث أنه يجيد اللغة الانجليزية رفع إلى الصف الرابع الابتدائي.

في عام 1956 التحق بمدرسة التدريب المهني في شركة بابكو وتخصص في الأجهزة والآلات الدقيقة كونه طموحا في التعلم. ودفعته متابعته للمستجدات على الساحة السياسية، للمشاركة لأول مرة وبصورة عفوية في المظاهرات الطلابية المنددة بالعدوان الثلاثي على مصر، حيث كان يحيطه عدد من الأصدقاء القوميين والناصريين. في ذلك الوقت لم يكن لدى الرفيق أي انتماء لأي تنظيم لأن ثقافته كانت محدودة بالرغم من شدة حماسه وتطلعه للمتغيرات السياسية، وسرعان ما دفعه ذلك الحماس والتطلع للمتغيرات السياسية في البلاد إلى الاهتمام بالقراءة والإطلاع على مختلف الكتب الأدبية والسياسية والمجلات الصادرة من البلدان العربية، فكان شغوفاً بخطب جمال عبدالناصر وقراءة مؤلفات ساطع الحصري وخالد محمد خالد وجورج حنا ومكسيم غوركي وغيرهم من كتّاب عرب وأجانب .

ولم يكتف الرفيق الراحل موسى بإجادته التحدث باللغة الانجليزية عندما كان يدرس في بابكو بقسم التدريب المهني، بل حاول، من خلال احتكاكه بالعمال، أن يتعلم لغات أخرى أيضا مثل اللغتين الهندية والإيرانية، وكذلك التعرف على العديد من العمال والطلبة الدارسين بقسم التدريب المهني، وهذا ما قاده إلى التعرف على شباب ذوي اتجاهات ماركسية لينينية من أمثال يعقوب يوسف جناحي وحسن علي محمد وغيرهم، ومن خلال هذه المعرفة تبلورت أفكاره نحو الوجهة الماركسية اللينينية وعرف أهمية التمسك بالنظرية الثورية لما لها من دور فعال في قيادة الطبقة العاملة وتوجيهها نحو النضال ضد المستعمر الغاشم ومحاربة استغلال الإنسان للإنسان، وعلى ضوء ذلك بادر مع رفاقه في مركز التدريب المهني بتشكيل خلية تنظيمية لدراسة الواقع الطلابي والقيام بنشاط تثقيفي نقابي، ووضعوا جدولاً زمنياً لاجتماعاتهم كي يتابعوا المستجدات في نشاطهم السياسي والثقافي في أوساط الطلبة والعمال بشركة بابكو.

في سنة 1957 شبّ حريق هائل في فريق البلوش فاحترق بيت والد الرفيق موسى، فانتقلت العائلة إلى بيت أخ زوجة خاله عبداللطيف الذوادي شقيق الرفيق أبوقيس، أحمد الذوادي، ونشأت فرصة سانحة للرفيق أبوقيس لأن يعرض على الرفيق موسى في مطلع عام 1958، أهمية الإنضمام لصفوف جبهة التحرير الوطني، وبالفعل تمّ تنظيمه بعد أن شرح له أهداف التنظيم وكيفية العمل مع الجماهير وتثقيفهم من أجل توسعة قاعدة التنظيم في جميع مناطق البحرين، وأصبح ذلك دافعاً قوياً ومعنوياً لنشاط الرفيق في أوساط الطلبة والعمال خاصة في شركة بابكو، حيث استطاع بحماسه الثوري ووعيه السياسي أن يقنع كثير من العمال بأهمية الإنتماء لصفوف الجبهة من أجل النضال ضد استغلال الإنسان للإنسان المتمثل في الوجود الاستعماري البريطاني، هذا النشاط المفعم بالحماس أهلّه مبكرًا لأن يكون كادرًا قياديًا بارزًا في صفوف الجبهة .

ونتيجة لنشاطه السياسي في العمل وخارجه تمّ اعتقاله من موقع عمله لأول مرة في فبراير عام 1959، وعندما أطلق سراحه بعد أسبوعين من الاعتقال طلب منه التردد بصورة أسبوعية على قسم المخابرات بالقلعة، ولكونه نبهاً وصلباً أثناء التحقيق أدرك بوعيه السياسي أن ذلك الطلب كان بمثابة حرب نفسية، التزم به دون أن يحصلوا منه على أي معلومة ذات جدوى، ملتزماً في الوقت نفسه بنشاطه السياسي والتنظيمي، وعاكفاً على توزيع نشرة «الجماهير» في منطقة المنامة وفي منطقة عمله بشركة بابكو مواصلاً نشاطه حتى أحداث انتفاضة 1965 التي كان سببها الرئيسي تسريح عمال شركة «بابكو» البالغ عددهم ألف وخمسمائة عامل، وكان دور الرفيق آنذاك يكمن في منع العمال من مواصلة العمل بالشركة بطريقة منع باصات الشركة من الوقوف في المحطات لجانب مشاركته في المسيرات والإضرابات العمالية بالرغم من المطاردات البوليسية وجهاز المخابرات بمنطقة المنامة والحورة وفريج البلوش بقيادة وتوجيه الضابط يوسف البلوشي.

كان لانتفاضة 1965 أثر شعبي رفع من الوعي السياسي والمدّ الثوري، فاستمرت المسيرات والإضرابات العمالية حتى صيف عام 1968، فقامت المخابرات بحملة اعتقالات واسعة في صفوف الجبهة، شملت العديد من الرفاق والكوادر والذي كان من بينهم الرفيق موسى، حيث أخذ من عمله إلى القلعة، ومن ثم نقل إلى جزيرة جدا، حيث وضع هناك في زنزانة انفرادية لمدة سنتين، وخلال تلك الفترة التقى بالعديد من الرفاق المعتقلين بينهم إبراهيم ديتو وعلي دويغر ومحمد عبدالرحمن كمال وإبراهيم سلمان مكي والقائمة تطول، فكان يتبادل معهم قصاصات الورق لمعرفة أخبارهم ومناقشة المسائل المستجدة جراء الهجمة الشرسة على التنظيم وآثارها السلبية، دون أن ينال ذلك من معنوياته المرتفعة بالرغم من حرمانه المقابلات الشهرية مع أهله أسوة ببقية المعتقلين حتى صدور الأمر من جهاز المخابرات بترحيله من البلاد عام 1970، فاختار التوجه إلى دولة الكويت، وهناك التقى الرفيق بأصدقائه العمانيين الذين قدموا له المساعدة التامة من توفير السكن وغير ذلك، ومن خلالهم تعرف على رفاق دربه البحرينيين من أمثال محمد كشتي الذي كان يعمل بشركة النفط الكويتية، وبحكم العلاقة الرفاقية أصبح له أصدقاء كويتيون نقابيون وسياسيون، فتمّ التنسيق معهم في العمل السياسي والنقابي في دولة الكويت وكذلك التواصل مع الحركة الوطنية في البحرين .

في عام 1977 سمح له بدخول البلاد فتزوج ورجع الى دولة الكويت ليواصل عمله هناك حتى عام 1986، حيث رجع للبلاد مع أسرته وله من الابناء ثامر ومي وريم، وعمل موظفاً في محطة الكهرباء والماء بمنطقة سترة لمدة خمسة عشر عاماً حتى أعياه التعب فأصبح عاملا متقاعدا حتى موعد الرحيل.

بذل الرفيق موسى طوال حياته النضالية الكثير من التضحيات متحدياً كل العراقيل والصعاب سواء في السجن أم خارجه وحتى في المنفى، حبث ظل متمسكًا بمبادئه وأخلاقياته الإنسانية لجانب الإخلاص والتفاني في الدفاع عن خطه الفكري والطريق الذي اختاره منذ ريعان شبابه، طريق النضال في صفوف جبهة التحرير الوطني من أجل الحرية والديمقراطية والسلم، وكما ذكر الرفيق في مذكراته المشار اليها آنفا: «إن الجبهة هي القيادة الواعية لتوجيه الطبقة العاملة والشعب البحريني نحو النضال ضد المستعمر البريطاني ومن أجل تحرير الطبقة العاملة من الاستغلال وأن الجبهة بالنسبة له هي كل شيء في حياته، إنها الأوكسجين الذي يتنفسه وبدونها لا يمكن أن يعيش، إنها الأمل لغد مشرق للشعب البحريني وفي مقدمته الطبقة العاملة البحرانية».

الرفيق موسى هو أحد المؤسّسين للمنبر التقدمي، وكان متابعاً دقيقاً لأخبار ونشاط الرفاق في «التقدمي» وخارجه، وكان حلمه دوما مواصلة النضال من أجل مجتمع ديمقراطي أفضل. رحل جسداً وبقيت ذكراه خالدة في قلوب رفاقه وأهله ومحبيه، فلروحه السكينة والسلام.

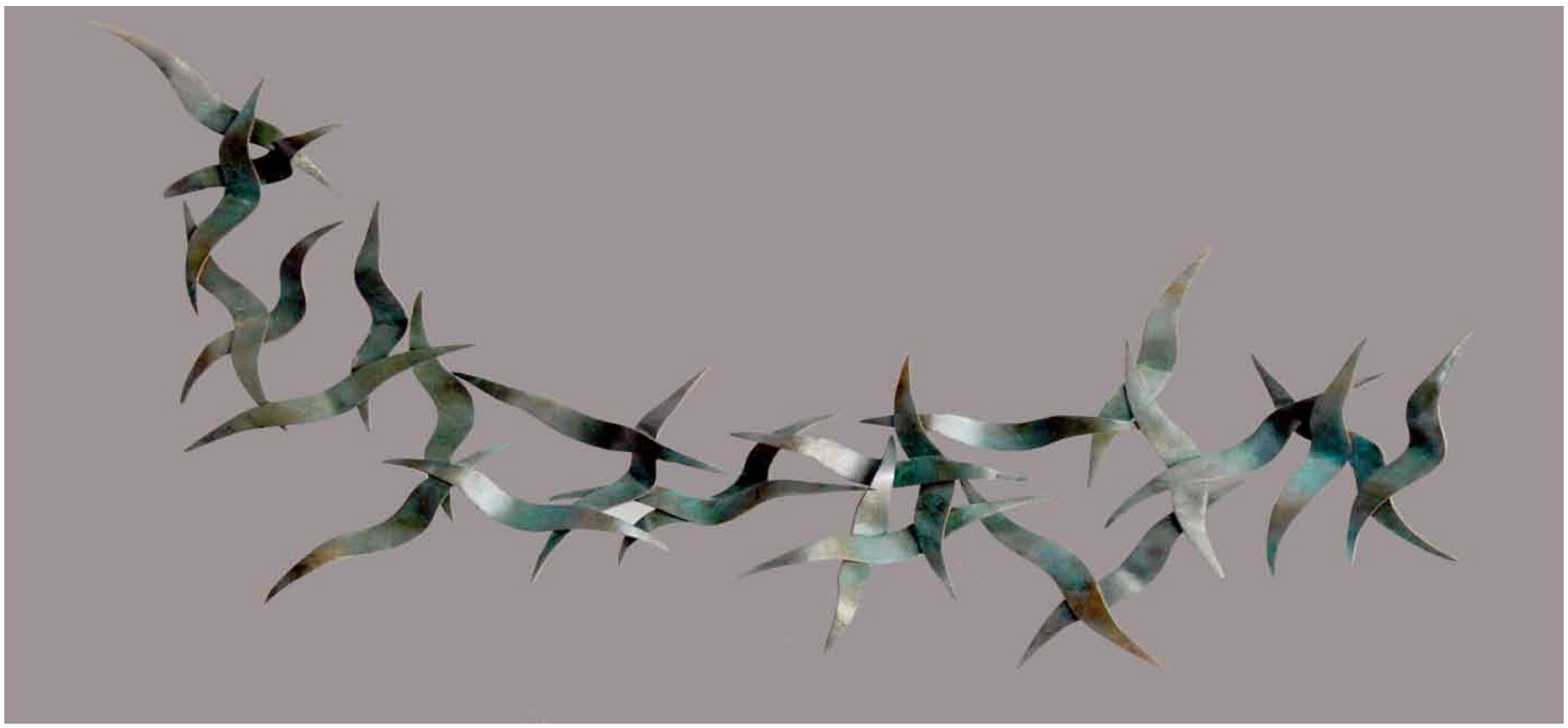

خليل الهاشمي والنحت التجريدي

ربما يشكل النحت انحلالا للصراع المتجسد بين الكتلة والفراغ، بين المادة والشكل إن شئنا استخدام لغة أفلاطون، فالنحت إذا تخلى عن البعد الثالث وتمسك بالطول والعرض في الوجود تحول إلى نقش، ومنذ فجر التاريخ استطاع الإنسان أن يكون المفاهيم والأفكار المجردة التي انبثقت من تفاعل ذاته مع موضوعات الوجود المختلفة المادية والمعنوية، فعبر عنها إما بالكلمات (المفاهيم) أو بشتى أشكال الفن، ولعل ذلك ما أفصح عن قدرته الفائقة على التجريد، فمن تجاربه يصيغ مفهوما مجردا عن شجرة ما، تلك الشجرة يمكن أن تحمل في داخلها كل الأشجار الموجودة والمتخيلة أيضا.

جعفر حسن

والنحت فعل إنساني مجسم، يظهر تأثيره في المادة ضمن أبعاد الوجود الثلاثة التي تحكم الكتلة (الطول والعرض والارتفاع)، ويمر عبر البعد الرابع بحكم مادة وجوده (الزمن) وقوة حضور الإبداع فيه، لذلك انقرضت معظم الأعمال التي نحتها الإنسان القديم من مواد سهلة الاندثار، وبقت لنا تلك التي قاومت الزمن. وقد يلمس هذا الفن معطى أولي مثل الحجر أو الطين حتى يصل إلى مواد مصنعة إنسانيا تحتاج إلى فنون أخرى مثل صهر وصب وطرق وسحب المعادن. وطالما افتتن الشعراء العرب بالنورس، ذلك الطائر العنيد الذي لا تستطيع أقسى العواصف أن تغرقه ولا يقبل التدجين كما يمثل بحركة طيرانه الرشاقة وبعد التحليق والهجرة الدائمة بين عوالم يبعد عنها وعوالم يعود إليها، دائما يظل عند البحارة علامة على قرب البر ونهاية الرحلة أو بدايتها، وبياضه ونظافته تشيران إلى الطهارة.

وقد التقط خليل الهاشمي كثيرا من الأشياء حولنا وقام بنحتها بحيث تنقل للمتلقي المتأمل صورة تحاكي ذلك المفهوم الذي يتوفر عليه معظم الناس، وذلك ضمن حساسية فنية مغايرة للمألوف، فلو سئلنا شخصا عاديا أن يصف لنا طائر ما ولنفترض (النورس)، فربما يقول لنا أنه طائر، وعندما تطلب منه التفاصيل سيقول لك له جناحان يغطيهما ريش وساقان ورديتان ومنقار وربما يذكر لك لون عينية وريشه ومنقاره، ثم تبدأ بالتساؤل كم من تلك الصفات يمكن للطائر أن يتخلص منها دون أن يفقد صفته كطائر من جهة وكنورس من الجهة الأخرى، وعندما كنا صغارا في دروس التربية الفنية كنا نرسم الطائر في الأفق مجرد خطين منحنيين قليلا وفي وسطهما ربما ضربة قلم رصاص بنفس اللون للتعبير عن الطائر، ولا نفكر كثيرا إي طائر هو. وهل هذا ما فعل خليل الهاشمي في نحته، يبدو لي الأمر مغايرا ولنتأمل معا في الصورة التالية.

هنا يستغني الطائر عن الريش والمنقار والعينين وحتى القدمين وبقية التفاصيل حيث يبتعد الفنان عن الصورة الواقعية المنعكسة إلى فعل التجريد، ومن خلال ذلك الفعل تظهر لنا ثلاث علامات مختلفة جدا،

أولها الموضوع الذي يبرز على ما توحيه المنحوتة عن قيام الرحلة بالتحليق، والتي يقوم بها هذا الطائر المهاجر، ولكنها ليست هجرة فردية وإنما جماعية نحو أفق جديد ما منفلت من قيد المكان وجاذبيته التي تلصقه بالأرض، وبالتالي استثمار ما يمكن أن تحويه تجربتنا التأملية نحو كون الطائر حر أبدا، بينما تشكل مادة المنحوتة لون الطائر المغاير عما في أفق توقع المتلقي من البياض وبالتالي يظهر لنا لون البرونز على أنه اللون المهيمن على المنحوتة ويكسر أفق توقع المتلقي ثانيا، وفي تغاير شديد مع الواقع نرى كيف تلتصق أجنحة الطيور مع بعضها البعض لتشكل كتلة تدل على اتجاه الحركة المنفلتة في تقوسها نحو الرحلة كأنما تعبر من بوابة ما ثالثا، وربما هو ما جعل النحات والفنان خليل الهاشمي يستثمر هذا الطائر في النصب المقام قبل المطار بما يوحي بالرحلة.

ولنا أن نتأمل في الصورة القادمة التي تمثل منحوتة أخرى، ولكنها تلعب على ذات فيمة الطائر والتي تتكرر عند خليل الهاشمي.

هنا يشكل الطائر قبة ما وربما يحلو لي أن اطلق عليها قبة السماء، إن تأملنا لطائر يرتقي الهواء ويستغل دواماته التي يدركها هو ولا ندركها نحن بحواسنا الخمس نعرف أن مكانه هي هذه القبة السماوية التي نتصورها، وهو حر في حركته وفي ازدحامه أو في تباعده، إن انعكاس الحالة الانسانية التي تحشر ملايين البشر في المدن الهائلة ضمن ترابطات اجتماعية لا فكاك منها، إنما تشير في الجهة الاخرى إلى تمتع ذلك الفرد المحشور مع الاخرين بحريته في أن يكون وأن يعبر عن قبة سماوية ما

ترفل في الاحلام. كيف لنا أن نتخيل مع خليل الهاشمي هذا الطائر وهو يكتض ليتكاتف رافعا قبة سماوية إنسانية إلى حدود المستحيل.

ولنا أن نتأمل مرة أخرى في طائر آخر شغل خليل الهاشمي ليجرده من تلك القصص التي سمعناها عن الحمامة التي عادت بغصن زيتون بعد أن اطلقها نوح النبي ليتعرف على بروز البر وانحسار الماء بعد الطوفان العظيم، وذلك بعد أن هرب الغراب ولم يعد، فصار نذير شؤم منذ ذلك الحين، بينما حازت الحمامة وغصن الزيتون على كونهما يرمزان للسلام، وكذلك فعل محمود درويش عندما كتب تلك الكلمة التي القاها ياسر عرفات في الأمم المتحدة واستثمر فيها غصن الزيتون حيث قال :لا تسقطوا غصن الزيتون من يدي، لا تصقطوا الغصن الاخضر من يدي، وظلت الحمامة البيضاء رمزا للسلام، ولكن ما الذي يمكن أن نستغني عنه من صفات الحمامة التي دجنها الانسان بأشكال مختلفة بل ووظفها في الحرب كما فعل بالحمام الزاجل، نرى كيف قام خليل الهاشمي بتجريد الحمامة البيضاء من كل صفاتها المحسوسة ليبقي ما هو جوهري فيها، ولنتأمل معا هذه اللوحة.

ولنرى كيف استغل خليل الهاشمي لموضوعه ذلك التناقض بين الحرب والسلام، فالحمامة فوق الجدار ذلك ما يقترحه النحت في أبعادة الثلاثة دون أن يترك إي تفاصيل زائدة تشير إلى الحمامة ذاتها، غير أن المادة المستخدمة والتي يشيع فيها البياض تحيلنا إلى لون الحمامة وليست إي حمامة إنها حمامة السلام، بينما الجدار الذي تقف عليها مخرم بشكل يوحي بالتوازي بين خطوط تلك الخروم، إلا أنها تقود عين الناظر نحو الرصاصة التي جمدت في الجدار، إذا هي إشارة قوية للحرب والسلام في موضوعة جسدها الحجر المجرد حمامة بيضاء وجدارا اسود كسواد أيام الحرب، والخروم حملت دلالة خرابها، بينما حمل البرونز المناقض في لونه الدلالة على الحرب والموت، هكذا هو الفن يستخضر نفسه في أيام نتذكر فيها ويلات الحروب في كل مكان.

خليل الهاشمي الفنان
النابض بالحياة والمفعم بالأمل

أحياناً يُحار المرء في كتابة ما يجول بخاطره من أفكار وخواطر عن فقدان صديق أو عزيز عليه، حين لا يجد الكلمات أو مضامين المفردات، فتتخلى عنك الكلمات في لحظة أنت في حاجة إليها، فالقلوب مثقلة والكلمات لا تفي أبداً حق من نكتب عنهم، وخليل الهاشمي واحد من هؤلاء، وكنت محظوظاً بمعرفته.

حميد الملا

خليل نجم هوى، ملئ بالنور والحياة، بعد أن المرض نشب فيه بلا هوادة، غيّبه الموت عنا، بكّر في رحيله ومضى بعد ما عانى ما عانى من المرض الفتّاك وكان ذلك من مفاجآت الحياة التي تأتي دونما سابق إنذار، وكان من سوء الطالع أن شاءت الأقدارأن يبتلي خليل بهذا المرض الخبيث، حيث كان مشؤوما اليوم الذي تفاجأ فيه بمرضه، ومع ذلك امتلك ذلك القدر من الصبر والإرادة والجلد والعزيمة والتحمّل لمقاومته بشجاعة على الرغم من أن عقله كان مثقل طوال هذه السنيين بشتّى أنواع القلق والخوف، ومع ذلك لم نسمعه يلعن الحياة على هذا الظلم القاسي الذي سُلّط عليه وظلّ مواصلاً إبداعه، متفائلًا ممتلئاً ثقة بالنفس حتى آخر يوم في حياته. قاسية هي الحياة لكنها الأقدار وما علينا الاّ أن نعطي معنى لحياتنا ونتحمل الأوجاع التي تنزل علينا بقسوة وهذا ما فعله أبو رامي في مجالدة المرض.

رحل عنا وفي قلب كل من عرفه غصة ولوعة على إنسان قدّم جلّ معارفه الفنية والمعرفية لوطنه بعد تخرجه من لينينغراد (سان بطرسبورغ) بالاتحاد السوفيتي، فهو فنان مبدع، وطني بلا منازع، خلوق وبسيط ومتواضع بلا تكلف، رقيق وشفاف إلى أبعد الحدود، إنسان يفيض إنسانية بكل ما تعنيه الكلمة من معان. هادىء ومتزن ورزين ورصين، يحمل قلباً نقياً أبيض كالأطفال، طَيب المعشر، نقي وجميل وبارع في خلق صداقات حميمة مع الجميع، وبذلك حاز على أعلى مراتب الحب ممن عرفوه أو عاشروه، سواء عندما كان طالباً في أحضان الحياة الجامعية وأثناء عمله في سلك التدريس بعد التخرج. إنسان وفنان نادر جسّد فكرة أن الفن يطّهر الروح ويمنح الذاكرة فسحة من الخيال والفرح. لا يشكو ولا يتذمر، يعمل بصمت وبحب بكل جوارحه ويتسامى على الخلافات المذهبية والطائفية مترفعاً عنها، مشحون بحبه لوطنه وشعبه، مبدئي صارم شأنه شأن القديسين. له قلب طفل ونباهة شاب وصبر رجل حكيم.

زرته في مرسمه عدة مرات، وفي كل مره أراه الأجمل والأنقى روحاً وخلقاً وبساطة، يقابلك بابتسامة ويودعك بمثلها رغم ثقل ما بات يعانيه من المرض وإحساس بأن الموت يحوم فوقه كتهديد مستمر. كنت أقرأ في عيونه ما قاله جاكومو كازانو#ا: «كُلّما كان وضعي الصّحي جيداً، لا أقومُ بأي شيء آخر أبداً، سوى العمل لدرجة الإنهاك، وكُلما خانني جسدي علىّ أن أعمل لأستعيد عافيتي». هو ذا خليل مفعم بالحيوية والنشاط، منهمك في عمله لا يسكنه الأمان الا بعد أن ينجز عمله وبكلّ حرفيّة، لا يترك لنفسه فرصة للراحة، فالعمل لديه كالعبادة تقرب له الحلم الذي كان يعمل عليه بكدّ ومثابرة وهو طالب النحت فأبدع أيما إبداع وصار إسمه معروفاً في البحرين وخارجها، وقدّم أعمالًا إبداعية ضاهت العالمية وحصل عنها على الجوائز، فجعل من شعوره بثقل المرض بصيص أمل استغرقه في العمل على مشاريعه الفنية لمعرفته أن الفن يبقى حتى عندما يرحل مبدعوه، فكان الفن رهانه الكبير لزرع الكثير من المحبة بين الناس، يلاحق الزمن بالأمل والإيمان بمقدرته على فعل المستحيل لوقف السرطان من التمدد في جسده، فكان يستعجل الإنجاز بكل ما أوتي من قوة فكانت أعماله الفنية النحتية مرآته الحية والناطقة.

جمعته علاقات واسعة مع الفنانيين والخطاطين والرسامين، فكانت له صحبة مع الكثيرين ومنهم الخطاط المحترف المرحوم عبد الإله محمد العرب وهو ما زاده معرفة بكل ألوان الفنون الأخرى، ما زاده إيماناً بمقدرته على خلق الجديد في عالم الفن الواسع والمتنوع وتجاوز المألوف منه.

كان على يقين بأن الدنيا حكمتها في إنها قصيرة ولحظات الفرح فيها عابرة. لهذا عندما تأتي فمن العبث تضييعها فكان يقتنص اللحظات التي لا ينغص عليه فيها شيء، فيحّلق عالياً في الفضاءآت غير عابئ بما يأتي من قادم الأيام. حقق خليل الهاشمي الكثير من أحلامه كمبدع، ولكن أحلامه كبيرة تفوق ما أنجزه وأفكاره تتدفق كتدفق مياه النهر ولكن الإمكانيات لم تتوفر له، وبالخصوص بعد غلق المرسم في مدرسة المنامة الثانويه الصناعية.

وقع خبر رحيل أبي رامي عن دنيانا شديد الوطأ على أهله وأصدقائه ورفاقه، أغمض عينيه، تدحرج في غيمة قادته نحو صفاء اللحظة. ترك المنحوتة التي كان يعمل عليها دون أن يُكملها تقود رحلته إلى الخلود وسط الصمت الذي سكن وجوه عائلته ورحل بهدوء دون ضجيج.

يا لها من خسارة فادحة للوطن برحيل هذا الإنسان المبدع الذي ترك بصماته في ذاكرة البحرين في الزمان والمكان من خلال فنه الجميل لتنهل من هذا الإرث الأبداعي الفني الأجيال القادمة جيلاً تلو آخر.

لك منا يا أبا رامي كل الحب، ستبقى دوماً وأبدًا في قلوب محبيك وعشاق فنك نجماً ساطعاً لا يغيب، وستظلّ أعمالك الفنية قصيدة للحياة وتمجيداً للنور والمحبة، بمنحوتاتك زرعت دفئاً ملوّناً في قلب الوطن، نفخر ونعتز بما قدمت وستبقى أعمالك مضيئة في وجدان وذاكرة الوطن والناس.

خليل زينل

خليل الهاشمي وداعاً

ولد في احد الأحياء القديمة في المنامة (ابوصرة) عام 1949وترعرع في حي آخر هو الحورة بين البحر وأساطيره والازقة المتربة.. منذ البداية كان مولعاً بزرقة البحر وأمواجه، ينحت الأمـواج وطيور النورس في مخيلته الفنية .. ومع انتهاجه للفكر التقدمي وما تموج به روحه العذبة والشفافة من قراءات للبيئة والمجتمع المحيط به في ستينيات القرن الماضي في الحورة وأطرافها، ساهمت هذه البيئة الخصبة في صقل الإبداع فيه.. القراءة والدراسة الأكاديمية لاحقاً في أكاديمية الفنون الجميلة في لينينغراد والذي تخرج منها عام 1980، أخرجت الفنان الذي بداخله ليمتهن الواقعية في الفن والسياسة على حد سواء.. قانون أمن الدولة حرمه من العودة للبحرين ليستقر في الكويت ردحاً من الزمن مدرساً وملهماً للعديد والكثير من المواهب والفعاليات.

وكان رحمه الله كباقي منحوتاته وطيوره يرنو للبحر نحتاً وتشكيلاً ابداعياً ووعياً طبقياً حاضراً في نتاجاته الفنية المتعددة.. استقر في البحرين مدرساً يراد له السكون مكبلاً بالإجراءات الوظيفية ولكن كطيور البحر المهاجرة لا تستقر بوصلته وخياله الطبقي إلا جهة الفرح والجمال والتقدم ولصالح بني البشر والبشرية جمعاء.. نهل من المدرسة السوفيتية والواقعية حتى امتلئت روحه بالفن فعشق الفن وعاش للفن.

برحيل الفنان خليل الهاشمي المبكر تخسر الساحات الفنية مبدعاً حقيقياً تضيء شواع البحرين منحوتاته ذات الدلالات الرمزية..

ومثل شخصيته الهادئة والمسالمة تجده في كل ركن بل ويشارك في فعاليات خارجية بكل هـدوء وبـدون ضجيج ومؤثرات سوى منطقه المسالم والمتصالح مع الجميع.. لم يفرق بين الوطن السعيد وشعبه، محبوباً من الجميع.. بصماته في كل بيت واهداءاته تزين كل ركن.. عزاؤنا فيك كبير، كنت أجمل نحات وأبهى فنان بنكران ذات قلّ نظيره في هذا العالم.. تودعك القلوب والعقول متأملين لك التكريم المستحق وانت المتوج في الأفئدة..

العويناتي بريشة الهاشمي

كان خليل الهاشمي يدرس الفنون في لينغراد بالاتحاد السوفيتي السابق حين استشهد الرفيق سعيد العويناتي في ديسمبر 1976، فرسم خليل «بورتريهاً" للشهيد، هو نفسه الذي اعتمد في الملصق الذي أصدرته، يومها، جبهة التحرير الوطني وانتشر على نطاق واسع، خاصة في صفوف الطلبة البحرينيين الدارسين في الجامعات العربية والأجنبية، حيث علقوه في أماكن سكنهم وفي مقرات فروع الاتحاد الوطني لطلبة البحرين في الخارج.

كما أن هذا البورتريه نشر عديد المرات في الصحافة الحزبية والطلابية والشبابية، وعلى مدار السنوات في ظروف العمل السري، قبل أن يعاد نشره في مطبوعات المنبر التقدمي بعد تأسيسه في العام 2001، وخاصة في نشرة "التقدمي"، وما زال يتجدد نشره، خاصة في الذكرى السنوية لاستشهاد سعيد والمناضل محمد غلوم بوجيري في ديسمبر من كل عام.

لم يكن هذا التصميم وحده الذي وضعه الفنان خليل الهاشمي الذي رحل عنا في ديسمبر الماضي، فقد صمم الكثير من الملصقات في المناسبات الوطنية، خاصة في يوبيلات تأسيس جبهة التحرير الوطني، كالذكرى الخامسة والعشرين لتأسيسها في العام 1975، وفي الذكرى الثلاثين في عام 1980، وفي مناسبات أخرى تالية، وفعل الشيء نفسه في الاحتفال الكبير الذي أقامه المنبر التقدمي في عام 2005 في الذكرى الخمسين لتأسيس الجبهة.

ونفخر أن لوغو المنبر التقدمي المعتمد منذ تأسيسه هو من تصميم رفيقنا خليل، وسيقى بمثابة اطلالة الفنان الراحل على رفاقه وأبناء شعبه، كما أنه صمم أيضاً، فترة عيشه وعمله في دولة الكويت الشقيقة، لوغو حزب اتحاد الشعب في الكويت الذي تحوّل، لاحقاً، إلى الحركة التقدمية الكويتية.

بصراحة

تراجعات في العمل النقابي

فاضل الحليبي

ضحّى العشرات والمئات من النقابيين الروّاد الأوائل منذ اكتشاف النفط (البترول) في عام ١٩٣٢ وتشكيل الطبقة العاملة البحرينية ، عرفت البحرين الإضرابات العمالية المطالبة بتشكيل النقابات العمالية في ١٩٣٨، وفي السنوات اللاحقة في منتصف خمسينيات القرن الماضي إبَّان هيئة الاتحاد الوطني التي قادت نضال شعبنا في أعوام ١٩٥٤/١٩٥٦ضد الاستعمار البريطاني والرجعية ، حيثَ تشكيل اتحاد العمل البحراني في ١٩٥٦ لم يدم طويلاً، وجاءت انتفاضة مارس المجيدة ١٩٦٥، التي سبّب اندلاعها تسريح ١٥٠٠ عامل من شركة بابكو وعلى دفعات، كان للطبقة العاملة دورٌ بارزٌ إضافة للفئات الاجتماعية الأخرى من المثقفين والمرأة والطلبة وسائر الكادحين المشاركة فيها بقيادة الحركة الوطنية البحرينية، ولا ننسى هنا إضرابات أعوام ١٩٦٩، ١٩٦٨، وبالأخص إضراب عمال وموظفين الكهرباء والتضحيات الكبيرة التي قدمت من قبل العمال والموظفين من سجن وفصل من العمل ولازال العديد من قادة الإضراب أحياءً .

بعد حصول البحرين على استقلالها الوطني في 14 أغسطس 1971، جرت العديد من التظاهرات والاحتجاجات العمالية المطالبة بتشكيل النقايات العمالية وتحسين الأجور وظروف عمل أفضل، وفي أعوام 1972 – 1973، وكذلك في عام 1974، إبَّان تشكيل النقابات العمالية في فترة وجود المجلس الوطني 1973/1975، قبل أن يتحول الحراك النقابي والعمالي للعمل السري بعد حل المجلس الوطني في أغسطس من عام 1975، حتى مجيء مرحلة ميثاق العمل الوطني في فبراير 2001 ، في هذه المقدمة نكتب عن جزء من تاريخ الحركة النقابية والعمالية في البحرين.

بعد هذه المعاناة والآلام وسنوات المعتقلات والمنافي، والفصل من العمل، والمطاردات للنقابيين، والحرمان من تأسيس النقابات العمالية، تحققت بعض المكاسب وأهمها (صدور مرسوم بقانون رقم (33) لسنة 2002 بإصدار قانون النقابات العمالية في 24 سبتمبر 2002) الذي على ضوئه تأسست العديد من النقابات العمالية في قطاعات واسعة، وأصبح العمل النقابي منظماً ومؤطراً بشكل كبير وانخرط العديد من العمال والموظفين في النشاط النقابي والعمالي، وأصبح الأول من آيار / مايو، عيد العمال العالمي، إجازةً رسميةً في عام 2003 ، وفي عام 2004 تأسس الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين، كان المؤمل بأن يقود العمل النقابي والحراك العمالي نحو آفاق أوسع، ويكون ممثلاً حقيقياً للعمال وسائر الكادحين، ينتصر لمطالبهم ويدافع عن حقوقهم، ويكون عوناً لهم، ويتصدى لعسف وتسلط المدراء التنفيذيين ومجالس إدارات الشركات والمؤسسات التي لا يهمها حقوق ومكاسب العمال والنقابيين بقدر مايهمها مصالحها وتكديس الأرباح التي تجنيها بفضل إنتاجية العمال الذين يبذلون الجهد البدني والجسدي والنفسي من أجل جودة الإنتاج ، بدل من تحسين أجورهم وإعطائهم المكافآت المالية، يكون جزاؤهم بأن تصدر قرارات مجحفة بحقهم لتدمر مستقبلهم المهني والمعيشي .

حتى الإضراب أو الاعتصام يكون الملاذ الأخير للنقابيين كخيار يفرض عليهم ، عندما يمارس الإجحاف والعسف ضدهم، مثل الفصل التعسفي أو وقف الزيادات السنوية وغيرها من المكاسب النقابية، الغُبن يحدث للعمال والموظفين ليس فقط من الذي يفترض فيهم أن يكونوا صوتهم النقابي الصلب، الاتحاد العام أو الاتحاد الحر الذي تأسّس بعد أحداث عام 2011، كان شرخُ الانقسام كبيراً في جسد الحركة العمالية والنقابية التي ظلت ترفع فيها طوال تاريخها المجيد ذلك الشعار الأثير «الوحدة ... الوحدة ياعمال»، هنا أتوقف لأتذكَّرَ صرخات رفيقنا النقابي الراحل عبدالجليل الحوري، وأحمد سند البنكي له الصحة والعافية وطول العمر، كانت صرخاتهم تصل إلى عنان السماء، تخرج من القلب لتصل إلى القلب الآخر .

الجهة الأخرى، أي وزارة العمل، التي يفترض أن تقف مع العمال وتنتصر لقضاياهم ومطالبهم المحقة ، من المؤسف أن يُتركَ العمال والنقابيون يخوضون معاركهم النقابية والقانونية لوحدهم مع الشركات ، بالرغم من كل الدعاوى والشكاوى والافتراءات ضدهم من المسؤولين، وجرجرتهم إلى ساحات المحاكم ، ولكن القضاة بما في ذلك المحكمة الدستورية انتصرت لإحدى النقابات ، وإحقاق الحق ، فالعمل النقابي والنقابات العمالية تتعرض في هذه الأيام لهجمة شرسة من قبل العديد من الشركات الكبيرة في البلاد من أجل إفراغ النشاط النقابي والمهني من محتواه، لكي ترسل رسالة، بأن مصير من ينتمي للنقابة من العمال والموظفين، لا ترقيات لا زيادات سنوية ، خسارة كل المزايا والمكاسب التي تحققت لهم في السنوات السابقة ، مما يشكل قلقاً واسعاً للعمال والنقابيين وتصبح العضويةُ في النقابة العمالية «تهمةً « تسبب الأذى إلى المنتسبين لها، لهذا يستقيل أو لا ينضم العديد من العمال للنقابة العمالية وهذا يتعارض مع المرسوم بقانون رقم 33 لسنة 2002، ومع الحق الدستوري في المادة 27: «حرية تكوين الجمعيات والنقابات على أسس وطنية ولأهداف مشروعة وبوسائل سليمة، مكفولة وفقاً للشروط والأوضاع التي يبينها القانون».

لا يجوز أن يستمر هذا الوضع النقابي والتي تعمل تلك الجهات لإضعافه وإفراغه من محتواه، والتراجع عن تلك المكاسب التي تحققت وجاءت بفضل نضالات وتضحيات الروَّاد الأوائل من النقابيين، على قيادات الاتحادين (العام والحر) توحيد العمل النقابي في البلاد والدفاع عن النقابيين والنقابات ،وأن تكون بوصلتهم العمال والنقابيين وليس محاباة المسؤولين في هذه الوزاره أو الشركة أو السكوت عن الممارسات التعسفية للشركات والمؤسسات الكبيرة ضد العمال والنقابيين، والدعوة إلى تشكيل النقايات العمالية في القطاع العام «الحكومي»، لا يوجد أي نص قانوني يمنع من تأسيس النقابات العمالية في القطاع الحكومي.

وحدة الحركة النقابية والعمالية في البحرين ليست حاجة بل هي ضرورة تفرضها الوقائع الحادثة، الوحدة العمالية أقوى سلاح للتفاوض مع الجهات المعنية بالشأن النقابي، ومن خلالها تستطيع الحركة النقابية فرض شروطها في التفاوض، ومن عمل على تفكيك وحدة الحركة النقابية في البحرين كان يهدف إلى إضعافها وفرض إملاءاته وتحقق له ما أراد .

هناك من أدار ظهره للعمال ومعاناتهم ، وبدأ يبحث عن مآربه الخاصة، بعد أن نال ثقة العمال في القيادة، وإذا بهم في عالم آخر ، ليس له مكان في قاموس العمل النقابي والقيم والأعراف النقابية، ما يثلج الصدور بأنه لازالت كوكبة من النقابيين المخلصين لتاريخ الحركة النقابية البحرينية، هؤلاء النقابيين الشجعان، ينكرون ذاتهم ويضحون من أجل العمال ويرفضون كل الإغراءات التي تقدم لهم من أرباب العمل لثنيهم عن التمسك بإرادته الحرة ،و الدفاع عن حقوق العمال، ففي الظروف الصعبة يعرف معدن الرجال، نرفع لهم القبعات ونقول لهم أنتم أمل العمال والكادحين في بلادنا، واصلوا المسيرة واعملوا من أجل وحدة الحركة النقابية والعمالية في البحرين.

فلسطين القضية التى لا تموت

« بلادى الحزينة سوف تعود إلينا ويُشرق فجر جديد
سرقتم دياري وضوء نهاري، فصارت فلسطين شعباً شريد
وتحتفلون بيوم دماري .. أيوم دماري احتفال سعيد»

تلك أبيات من فضاء محمود درويش الابداعي، وهى من اولى قصائده نستعيدها فى مناسبة يحتفل فيها العالم فى 29 نوفمبر من كل عام، مناسبة اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، وهو احتفال يواكب ذكرى اليوم الذى صدر فيه القرار المشؤوم، قرار تقسيم فلسطين رقم 181 عن الأمم المتحدة فى 29 نوفمبر 1947 .. وهو قرار كارثة ونكبة بكل المعايير والمقاييس .

احتفال هذا العام جاء وسط مناخ دولي واقليمي يسوده القلق والاضطراب وعدم الاستقرار، وتداعيات وتطورات هى الأخطر التى تحيط بالقضية الفلسطينية والشعب الفلسطينى الذى يعدّ الأكثر عرضة للاضطهاد والمعاناة فى العالم أجمع، يكفى القول إنه الشعب الوحيد الذى يقاوم ابادته من العدو المحتل، ومن كل الأعداء، ومن كل الأخوة الأعداء، وحتى الصامتين الذين بات صمتهم يصمّ الآذان.

شعب محروم من الحصول على حقوقه المشروعة، يعانى كل أشكال القمع والاقتلاع والتدمير والتهجير وانتهاكات لكل القيم والمعايير الانسانية والقوانين والمواثيق الدولية، وكأن العالم قد أعطى الضمير العالمي اجازة وترك المحتل الغاصب يفعل ما يشاء بالشعب الفلسطيني، وجعل القضية الفلسطينية عرضة للمؤامرات والمزايدات العقيمة والحسابات الضيقة التى لا تخدم هذه القضية فى شئ، إلى جانب أنها تتعارض مع كل مفاهيم الحرية والديموقراطية وحقوق الإنسان التى يحمل لواءها أصحاب هذه الحسابات.

وفى الوقت الذى تتوالى فيه على الصعيد العربي الاجتماعات والتصريحات والبيانات ذات الصلة بهذه القضية والتى لا تملّ فيها الأطراف والجهات العربية من تكرار معزوفة الموقف الثابت والواضح تجاه القضية الفلسطينية، والتأكيد على مصلحة الشعب الفلسطيني وحقوقه المشروعة، وفى مقدمتها حقه فى اقامة دولته الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، إلا أننا نجد فى نفس الوقت من يهرول للتطبيع معها، وما ادراكم ما التطبيع، وما وراء التطبيع، وما سيجرّه من امور لا يمكن على الصعيد الشعبي أن تقابل إلا بالرفض والهجاء والاستهجان والاستنكار.

التطبيع اذا كان محتّماً او ملزماً لدول عربية طبعت، او تلك التى ستطبّع، او تحضّر نفسها للتطبيع، لكنه لم ولن يكون ملزماً للشعوب، وامامنا شواهد عدة، دول عربية، مصر والاردن طبعت منذ عقود، ووقعت اتفاقيات سلام، واقامت علاقات دبلوماسية مع الكيان الصهيونى، ولكن الشعوب العربية أبت الاقدام على اي خطوات تطبيعية مع كيان يمعن فى انتهاك كل القيم والمعايير الإنسانية والحضارية والمواثيق الدولية، واعتبرت التطبيع خيانة كبرى بحق

خليل يوسف

الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية.

والمعروف أن فى البحرين، كما فى دول عربية أخرى، حركات ناشطة وفاعلة لمناهضة التطبيع بكل أشكاله ومستوياته السياسية والأمنية والاقتصادية والصحية والتعليمية والثقافية، ويمكن الإشادة فى هذا السياق وباعتزاز بجهود المبادرة الوطنية البحرينية لمناهضة التطبيع مع العدو الصهيوني التى كان آخر مواقفها ما تجلى فى البيان الصادر بمناسبة زيارة رئيس كيان العدو المحتل والذى وقعت عليه 22 جمعية سياسية ومؤسسات المجتمع المدني أعلنت رفضها لتلك الزيارة ولكافة اشكال التطبيع، كما يمكن الإشادة وباعتزاز بالوقفات التضامنية مع الشعب الفلسطيني التي شاركت فيها مختلف قوى المجتمع البحريني، ومنها الوقفة التضامنية التى نظمّها المنبر التقدمى امام مقره فى 3 ديسمبر الماضي عشية تلك الزيارة، وهى وقفات ومواقف أكدّت على ثبات موقف شعب البحرين من القضية الفلسطينية، وهو موقف حاله كحال الشعوب العربية وخلاصته أن النضال هو من اجل قضية وليس من أجل تسوية مع الكيان الغاصب، قضية مصير وكرامة، وأن هذه القضية كانت وستظل قضية العرب المركزية.

ولعلّ الاستطلاع الذى قام به «معهد واشنطن لسياسة الشرق الأوسط" ونشرته مؤخراً جريدة «وول ستريت جورنال" حول التطبيع مع إسرائيل مؤشر على ما يؤكد فشل التطبيع معها، فقد خلص هذا الاستطلاع إلى انخفاض تدنى الدعم الشعبى للتطبيع مع اسرائيل، وأن الشعوب فى واد والحكومات فى واد آخر، وانه بالنسبة للبحرين وعلى ذمةّ القائمين على الاستطلاع فقد انخفض دعم التطبيع فى البحرين من 45٪ عام 2020، الى 20٪ عام 2022، ولا نعرف على اي أساس خلص القائمون إلى تلك النتيجة ، ولكن يمكن القول بكل ثقة إن التطبيع الشعبي مع الكيان المحتل بوجه عام مرفوض، ومن يقبل به أو يروّج له منبوذ.

شكل آخر من أشكال الرفض الشعبي للتطبيع مع الكيان الصهيوني، وهذه المرة على نطاق عربي، بل عالمى كانت فيه الكاميرا هى الشاهد .. الشاهد المحايد الذى عبّر عن مشاعر الشعوب العربية الرافضة للتطبيع، كما عبرت عن عولمة كراهية للكيان الصهيونى وداعميه، وقد رأينا بعض صور ذلك فى مونديال كأس العالم فى قطر.

ما من مباراة، أو حدث، أو فعالية تشجيعية فى المونديال إلا وكانت أعلام فلسطين مرفوعة، وأناس عرب وغير عرب يتوشحون بالوشاح الفلسطيني، ووجدنا عدداً من المشجعين يتأكدون من القنوات التى استهدفت استطلاع آرائهم وعبروا عن رفضهم التعامل مع قنوات اسرائيلية جاءت لتغطية فعاليات كأس العالم، ولم يكتفوا بهذا الرفض بل عبّروا عن إيمانهم بحتمية قيام الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف، ولا ننسى موقف ذلك المذيع الإسرائيلي الذى حاول وعلى الهواء مباشرة أن يأخذ تصريحاً من أحد الحضور، الذى عندما علم أن المذيع اسرائيلى قال "لا توجد اسرائيل ولكن توجد فلسطين"، وبلغ الأمر إلى حد اعتراف صحفيين إسرائيليين بأن هذا المونديال هو مونديال كراهية إسرائيل، ومضى أحدهم الى القول "اكتشفنا كم نحن مكروهون بين العرب».

يمكن القول إن المونديال الذى حمل رسائل رفض كثيرة وأثبت، وبالبث الحي، إلى أي مدى هى القضية الفلسطينية مغروسة فى عقل ووجدان الجماهير الحرة الأبية، والشعوب الحية وثبات موقفها من هذه القضية، الى درجة ان البعض ذهب فى بعض مواقع التواصل الاجتماعي إلى القول إن " فلسطين فازت بكأس المونديال 2022 " رغم عدم مشاركتها فى هذا المونديال وهذا ما ذهبت اليه بعض الصحف العالمية ، ويبدو أن وسائل الإعلام الاسرائيلية تكاد تتفق مع هذا الرأي، إذ أبدت صدمتها من المواقف المناهضة لإسرائيل خلال أحد أهم الأحداث الدولية فى العالم، الأمر الذى دفع أحد قادة الكيان الغاصب، الزخائر ادرعي، إلى القول "المونديال جعلنا نلتقي بكل العرب، توصلنا وبصورة واضحة إلى قناعة بأن التطبيع كاذب مع هذه الشعوب، الفجوة كبيرة بين ما يقوله القادة ومواقف شعوبهم».

أمـر جيد ومطلوب أن يعى كـل إسرائيلي، وكل من يريد التطبيع مع الكيان الصهيونى تلك الحقيقة، ورفض كل أشكال ومستويات التطبيع مع هذا الكيان هو أبسط التزام بخط التضامن مع الشعب الفلسطيني، والحقيقة باختصار تتطلب من العرب أكثر من رفض التطبيع وأبعد، تتطلب العمل على مواجهة محاولات إسرائيل ابتلاع ما تبقى من فلسطين، وتشريد ما تبقى من شعب فلسطين، بهدف الحيلولة دون إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

وطالما بدأنا بالشاعر محمود درويش فلا بأس أن نختتم بالشعر، بما قاله الشاعر المصرى أحمد محرم: "فلسطين صبراً إن للفوز موعد».

(قف)

أوروبا والمصيدة الأمريكية

لا أحد يملك الحل لإخراج أوروبا من ورطتها على الإطلاق، لقد وقعت على حدّ تعبير الكاتب والباحث توفيق سلام في فخ المصيدة الأمريكية، وبين كماشتها، تعصرها لتنشف عروقها، وما من مخرج هناك يعيد تدفق حيوتها. في هذه الورطة الاتحاد الأوروبي يكشف عن نفسه، بأنه مؤسسة هشة، وتابعا للقرار الأمريكي، إذ كيف لقارة ترتبط مع جارتها روسيا بمصالح اقتصادية وتجارية ودبلوماسية، أن توافق على عقوبات ستكون هي أول المتضررين منها.. وماذا يعني ذلك ؟

فهد المضحكي

كل الإجابات التي تحتمل المنطق، هو إخفاق حتى في تبعية القرار السياسي مع متلازمة الخوف من استقلال القرار الأوروبـي.. يمكن أن يكون ذلك مجدياً بالنسبة للولايات المتحدة، لأن مصالحها مع روسيا محدودة، بينما يختلف الحال بالنسبة لأوروبا وتبعات ذلك تبدو ظاهرة في الحياة الخانقة، والمظاهرات التي تجوب شوارع باريس ولندن وألمانيا وبروكسل وغيرها.. وتتأرجح مواقف الحكومات الأوروبية من الأزمة الأوكرانية، وقد اعلن البعض نقدا صريحا لأمريكا التي باعتهم الغاز بأربعة أضعاف السعر، وأنها تستغل الأزمة لتكسب منها خصما في علاقاتها بحلفائها وتعميقا لأزمات داخل أوروبا، وزاد النقد للنرويج التي تبيع الغاز أيضا بأسعار مماثلة.

لقد حلت الكارثة حقا ومن حلفائهم، ولم تجد معها أصوات الرجاء والاستغاثة، هنا الشركات صاحبة القرار، ولا لغة تعلو فوق العرض والطلب، كما قالت النرويج.. وهنا تكمن حسرة الأوروبيين في مثل هكذا تراجيديا مأساوية، قد تقودهم إلى كوارث لا نهاية لها.. أدركت النخب وساسة أوروبا متاخرا أنهم قد تورطوا، وتعدّ ألمانيا أكبر الخاسرين فهي تعتمد على الغاز الروسي بنسبة 45٪، فقط الأن أدرك الجميع بأن مقاطعتهم لواردات الطاقة الروسية، كان خطأ إستراتيجيا قاتلا، وإن تدمير خطي أنابيب نقل الغاز الروسي في بحر البلطيق يكشف بجلاء عن المستفيد الحقيقي من وراء ذلك.

وعندما لمس الأوروبيون أنهم وقعوا في ورطة.. بعد أن جرتهم الأوهام الأمريكية لتضخيم المخاوف من روسيا ليقعوا في هذا المنزلق السيء، وخلق اهتزازات اقتصادية وسياسية لإضعاف أوروبا واتحادها، ليصبح الدور الأمريكي له مشروعية أكثر مما سبق، وفق متغيرات جيوستراتيجية كبيرة.. كان بعض القادة الأوروبيين، يرون أنه لابد أن يكون لأوروبـا جيش أوروبـي موحد، ومستقل عن حلف الناتو، لكن تظل هذه مجرد أماني لا أكثر بعيدا عن الواقعية لأن الأوروبيين يختلفون حول هذه المسألة، لكنهم يلتقون حول نزعاتهم المتطرفة ضد روسيا، بالرغم من أنها لا تشكل عليهم خطرا حتى بمقياس الخطر الصيني على مصالحهم الاقتصادية عالميا، ومع ذلك معركة الصين مؤجلة.

الاتجاه الأمريكي يذهب نحو إطالة عمر الأزمة الأوكرانية ومعها تزيد الأزمات الأوروبية، وإطالة أمدها مقابل تعميم الدور الأمريكي في مرحلة كانت أوروبا قد تحدثت فيها سرا وعلانية عن التخفيف من الحماية الأمريكية ومصاعفتها ماليا ومعنويا.. وفي الوقت الذي تعلن فيها أمريكا زيادة الدعم لأوكرانيا، تزداد المخاوف الأوروبية في كلفة دفع صفقات الأسلحة مع حجم انفاقها الأموال الباهظة، وكل ذلك يعمل على تدمير الاقتصادات الأوروبية، بدلا من الدعوة إلى حوار سياسي يمكن أن ينهي العمليات العسكرية، ويحقق الاستقرار، وتأخذ السياسة دورها في مناقشة كل محددات الأزمة، ووضع الحلول والمعالجات في توافق بين أطراف الحرب، لا سيما مع دعوة بوتين لكييف العودة لمائدة التفاوض، لم يقبل الرئيس الأوكراني زيلنيسكي، فهو يستجيب لما ستقوله امريكا التي تعدّ أكبر المستفيدين من الحرب.

وإذا ما عدنا إلى التاريخ، سنجد أن الولايات المتحدة كانت أكبر المستفيدين بعد الحرب العالمية الثانية من مشروع إعادة إعمار أوروبا الذي أسمته «مشروع مارشال»، على حساب أوروبا، فضلا عن استمرارية ربط القارة الأوروبية بمصالحها الاقتصادية أمدا طويلا، إذ أن أمريكا لاقيمة لها بدون أوروبـا، حتى في الجانب العسكري، فألأوروبيون تشكل نسبتهم الأكبر في عضوية حلف الناتو.

تذهب بعض التحليلات إلى أن الأهم هو تحوّل ملموس في الرأي العام الأوروبي تجاه الحكومات ومطالبتها بوقف المساعدات لأوكرانيا، إنطلاقا من الشعور بأن الشعوب الأوروبية هي من بات يدفع الثمن . وما يعزز هذا التغيّر في مواقف الرأي العام هو انتقاله إلى المسؤولين الأوروبيين أنفسهم الذين بدأوا يعبرون عن مواقفهم الغاضبة علنا تجاه السياسة الأمريكية.

بعبارة أكبر وضوحا، في النهايةِ تيقن الأوروبيون أن الولايات المتحدة هي المستفيد الأكبر وأنهم هم من يدفع الثمن. وما زاد الطين بلة هو القرارات الأمريكية بشأن التضخم والتي تسمح بتقديم تسهيلات ومساعدات مالية كبيرة للشركات العالمية، بهدف جذب الشركات الأوروبية، خصوصاً، إلى امريكا، الأمر الذي يلحق المزيد من الضرر بالصناعات الأوروبية والاقتصاد الأوروبي الذي لم يكن قد تعافى من جائحة «كورونا».

أطنان من الانبعاثات

قالت ألمانيا إن رحلات وفدها الحكومي إلى مؤتمر المناخ «كوب 27» في شرم الشيخ أنتجت 308 أطنان من ثاني أكسيد الكربون المسبب للاحتباس الحراري، وهذا يوازي انبعاثات قيادة شخص عادي لسيارة في ألمانيا لمدة 150 عاما، وعلينا تخيّل كم من الآف الأطنان التي انتجت من هذا الغاز لو جمعنا الناتج منه جراء الرحلات الجوية التي تقوم بها الوفود الحكومية في مهام رسمية، لا في ألمانيا وحدها وإنما في مختلف دول العالم.

ولا نعلم ما إذا كان باعثاً على السخرية أو على الأسى إذا ما وقفنا على مجموع الأطنان التي انتجت جراء سفر كل الوفود التي شاركت في قمة شرم الشيخ للبيئة، أو في سواها من الأنشطة الدولية المخصصة لمناقشة الموضوع البيئي، فالمفارقة في الموضوع جليّة، فمع أن هذه الوفود سافرت من أجل مناقشة تدهور المناخ وحماية البيئة، لكن ما قذفته الطائرات التي تحملها إلى مكان الاجتماع ألحقت كل هذا الضرر بالمناخ.

نائبة في البرلمان الألماني استهجنت تسيير حكومة بلادها كل هذه الرحلات لحضور موضوعات بيئية في زمن المؤتمرات عبر الفيديو، معتبرة هذا «سخفاً وإهداراً كبيرا لأموال دافعي الضرائب»، ومضيفة أن ألمانيا بحاجة إلى «سياسة واقعية عقلانية، وليس إلى جنون مناخي مجعجِع»، والإنصاف يقتضي الإشارة إلى أن الحكومة هناك وعدت بتعويض مقابل لجميع انبعاثات ثاني أكسيد الكربون الناتَجة عن الرحلات الرسمية، لكن يظل السؤال عن عددالحكومات في العالم التي يمكن أن تحذو الحذو نفسه، فضلاً عن السؤال المهم الآخر عما إذا كانت مثل هذه التعويضات ستزيل الضرر الناشىء على البيئة.

يطرح هذا للنقاش قضية قديمة – جديدة حول الضريبة التي تدفعها البشرية جراء ما تحققه من تقدّم كبير في مجالات مختلفة، وبعيداً عما تطلقه الطائرات التي تقلّ الوفود الحكومية إلى المؤتمرات من ثاني أكسيد الكربون، علينا السؤال: هل يمكن تخيل العالم اليوم بدون رحلات طيران، فالأمر لا يعني الحكومات وحدها وإنما كل سكان الكوكب الذين لم يعد بوسع غالبيتهم أو الكثير منهم الاستغناء عن السفر جواً إما للعمل أو السياحة أو زيارة ذويهم الموزعين على أكثر من قارة، ومن هنا يأتي السؤال عما إذا أذا كان ما تحقق نعمة للإنسان أم نقمة عليه؟

التمييز حتى في الإنترنت

عندما عمّت جائحة كورونا العالم شهدنا زيادة في الأنشطة الثقافية الافتراضية، عبر تطبيقات مثل «زوم»، أو بالبث المباشر عبر «يوتيوب» أو على «فيسبوك» وغيرهما، حيث تعذّر اقامة أنشطة فعلية أو مباشرة، ومع أن الجائحة انحسرت إلى حدّ كبير، وعادت الأنشطة الفعلية إلى سابق عهدها تقريباً، ولكن الأنشطة الافتراضية ما زالت مستمرة، ويبدو أنها ستسمر، فبات بوسع الكثيرين أن يؤسسوا منصّات افتراضية لتنظيم مثل هذه الأنشطة.

لكننا سنلاحظ أن خدمة الإنترنت ليست بالجودة نفسها عند كل المشاركين، كونهم يقيمون في بلدان مختلفة، ويكثر ذلك في بعض البلدان العربية بسبب ضعف شبكات الإنترنت، أو انقطاع الكهرباء وما إلى ذلك من أسباب، حيث يتوقف البث في كثير من الحالات، في اللحظة التي يكون المتحدث يقدّم مداخلته في ندوة أو محاضرة ما.

مع أن الاستفادة من الإنترنت اليوم باتت حقاً يجب أن يؤمن للجميع في مختلف البلدان، فكما تجري المطالبة بتعميم خدمات الكهرباء وشبكات الماء وما إليها، لتبلغ كافة المناطق في مختلف البلدان، خاصة الفقيرة والمحرومة، بصفة ذلك حقاً للجميع، فإن خدمة الإنترنت للجميع هي اليوم حق يجب تأمينه بدون استثناء.

مع ذلك فإن الأمم المتحدة تؤكد ان ثلث سكان العالم في عام 2022 ليس لديهم اتصال بالإنترنت، وسط تباطؤ في وتيرة الاتصالات الجديدة، وحسب الإتحاد الدولي للاتصالات، فإنه في الوقت الذي يستخدم فيه حوالي 5،3 مليار شخص حول العالم الإنترنت، فإن 2،7 مليار شخص ما زالوا غير قادرين على الوصول إلى الخدمة في غياب استثمارات جديدة في البنية التحتية، ما يجعل فرص ربط سكان العالم بالشبكة متعذرة على الأقل حتى عام 2030، بل إن هذه الفرص تتراجع بشكل حاد.

الأسباب المعلنة لهذا العجز كثيرة بينها «سرعات الاتصال البطيئة للغاية، والأسعار المرتفعة جداً للمعدّات والاشتراكات، والافتقار إلى الثقافة الرقمية أو حتى الحواجز الثقافية واللغوية، وأيضاً التمييز بين الجنسين وأحياناً النقص في النفاذ إلى الكهرباء."

الجوهر هو في القسمة الضيزى بين أغنياء العالم وفقرائه. يكفي أن نقرأ أن إفريقيا هي الأقل اتصالاً بالشبكة كي نفهم عمّ يجري الحديث.

ألم على حافة الهاوية..الاقتصاد في الخلفية

أوضاع الاقتصاد العالمي، حبلى بصواعق التفجير. وهي لذلك باتت تشكل اغراءً لا يصد ولا يرد لزمرة متزايدة من الخبراء الاقتصاديين ومتعاملي البورصات العالمية، والمختصين وغير المختصين في الشؤون الاقتصادية، وضاربي الودع، لعرض فتاواهم بشأن مآلاته التي هي سوداوية في المحصلة النهائية، من وجهة نظرهم، والتي لا تبتعد كثيراً عن الصحة بالمناسبة.

د. محمد الصياد

إنما تعالوا لنعود الى الأصول، الى ما تسمى الأساسيات الاقتصادية التي طورتها أجيال متعاقبة من الاقتصاديين عبر التاريخ وصولا الى علم الاقتصاد الذي نعرفه اليوم، والذي تفرع، الى مدارس ومذاهب، بناءً على خلفيات، قليلها علمية ومعظمها أيديولوجية. فالسياسة الاقتصادية السائدة اليوم مليئة بتحريف الحقائق. من قبيل الزعم بأن «التخفيضات الضريبية للأعمال تخلق فرص عمل»، و «عدم المساواة في الدخل ستحدث دائما لأن العمال غير منتجين، أي أن انتاجيتهم منخفضة»، وإن «التجارة الحرة تفيد الجميع»، وإن «انهيار الرهن العقاري في 2007–2008، نتج عن تخمة المدخرات العالمية››، أو أن «الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي (البنك المركزي) مستقل عن المصرفيين والسياسيين الخواص››، وإن «الأسواق دائما فعالة››، وإن «حالات الركود ناتجة عن صدمات خارجية لنظام داخلي متوازن ومستقر». وهكذا دواليك من الصياغات اللغوية الاقتصادية التي تتمثل وظيفتها في تبرير السياسات الاقتصادية التي تعيد توزيع الدخل والثروة على الشريحة العليا من المستثمرين ومؤسساتهم التجارية. ومن هذه «المنحوتات» اللغوية السياسية الاقتصادية يتم إنشاء مفاهيم نظرية أكثر إحكاما، مثل «منحنيات فيليبس» (Phillips Curves و"منحنيات لافر" (Laffer Curves)، التي تشمل وتدمج واحدا أو أكثر من تلك المفاهيم السياسة الاقتصادية، وتبسيطها، بغرض تسهيل "بيعها" للجمهور ووسائل الإعلام. وما هذه المنحوتات اللغوية الاقتصادية، والمفاهيم النظرية المشتقة منها، سوى "أيديولوجية اقتصادية" تتناقض مع علم الاقتصاد الذي يتعامل مع الحقائق والبيانات الامبريقية (Empirical data)، وتتوصل إلى استنتاجات تعكس بدقة تلك البيانات وتمثلها، تقريبا للواقع. في المقابل، فإن الأيديولوجيا الاقتصادية تدور حول سوء تمثيل البيانات والحقائق وبالتالي الواقع.

الاقتصاد العالمي

بحسب تقرير «الآفاق الاقتصادية العالمية» الذي أصدره البنك الدولي مؤخرا (يونيو 2022)، فإن الحرب الروسية الأطلسية على الأراضي الأوكرانية أدت إلى تفاقم الضرر الناجم عن جائحة كوفيد 19، ما أفضى إلى تفاقم التباطؤ في الاقتصاد العالمي، الذي يدخل ما يمكن أن يصبح فترة طويلة من النمو الضعيف وارتفاع التضخم المصحوب بالركود، أي الى ما يسمى الركود التضخمي (..الظاهرة الاقتصادية التي شهدناها في سبعينيات القرن الماضي. فمن المتوقع أن ينخفض النمو العالمي من 5.7٪ في عام 2021 إلى 2.9٪ في عام 2022، أي أقل بكثير من نسبة الـ 4.1٪ التي كانت متوقعة في يناير. ومن المتوقع أن يراوح حول هذه الوتيرة خلال عامي 2023–2024، على أساس تعطيل الحرب في أوكرانيا للنشاط والاستثمار والتجارة على المدى القريب. سيكون مستوى دخل الفرد في الاقتصادات النامية هذا العام أقل بنسبة 5٪ تقريبا من اتجاهه السابق للوباء. رئيس البنك الدولي ديفيد مالباس قال في تقديم التقرير: "بالنسبة للعديد من البلدان، سيكون من الصعب تجنب الركود. ولأن "الأسواق تتطلع إلى الأمام، كما يقول، لذلك فهو يدعو بقوة (لاحظ حتى في هذا الظرف العالمي الاستثنائي) الى تشجيع الإنتاج وتجنب القيود التجارية. قبل أن ينتقل الى اللغو الفارغ المبني للمجهول، بقوله "هناك حاجة إلى تغييرات في السياسة المالية والنقدية والمناخية وسياسة الديون لمواجهة سوء تخصيص رأس المال وعدم المساواة ".

لقد تطلب التعافي من الركود التضخمي في سبعينيات القرن الماضي زيادات حادة في أسعار الفائدة في الاقتصادات المتقدمة الرئيسية، ما انعكس أزمات مالية في اقتصادات البلدان النامية. المنعطف الحالي يشبه ما حدث في السبعينيات من القرن الماضي في ثلاثة جوانب رئيسية: الاضطرابات المستمرة في جانب العرض التي تغذي التضخم، مسبوقة بفترة طويلة من السياسة النقدية التيسيرية للغاية (سياسة التيسير الكمي) في الاقتصادات المتقدمة الرئيسية، والتهديد المستمر بإطاحة النمو الهش. الغريب أن البنك الدولي يحث الدول النامية عى تشديد السياسة النقدية من أجل كبح جماح التضخم، تناغما مع ما يفعله مجلس الاحتياطي الفدرالي الأمريكي والبنك المركزي الأوروبي الذي خضع أخيرا وتحول من سياسة التيسير النقدي الى تشديد سياسته النقدية حين قرر يوم الخميس 21 يوليو 2022، ولأول مرة منذ عام 2011 رفع سعر الفائدة بواقع 50 نقطة، أي بنسبة 0.5٪.

في محاولة للتهوين من الأزمة المالية (جبل الديون) والنقدية (التضخم)، يزعم تقرير البنك الدولي بأن أزمة الركود التضخمي الحالية تختلف أيضًا عن أزمة الركود التضخمي في السبعينيات، على أساس، كما يقول التقرير: أن الدولار قوي الآن، مقارنة بضعفه الشديد في السبعينيات؛ وكذلك النسبة المئوية الصغيرة للزيادات في أسعار السلع الأساسية؛ وبأن الميزانيات العمومية للمؤسسات المالية الكبرى قوية بشكل عام. والأهم من ذلك – بحسب التقرير أيضا – على عكس سبعينيات القرن الماضي، فإن البنوك المركزية في الاقتصادات المتقدمة والعديد من الاقتصادات النامية لديها الآن تفويضات واضحة لاستقرار الأسعار. ويستكمل التقرير رسم صورته الوردية عن الاقتصاد العالمي، فيتوقع بأن ينخفض معدل التضخم العالمي العام المقبل، لكنه يرجح (وهذا خط رجعة) أن يظل فوق أهداف التضخم في العديد من الاقتصادات (يقصد 2٪ للفدرالي الأمريكي والبنك المركزي الأوروبي). لكنه سرعان ما يستدرك ويناقض نفسه بالقول، إذا ظل التضخم مرتفعا، فإن تكرار سيناريو تحول الركود التضخمي الى انكماش عالمي حاد، وارد الحدوث.

توقعات البنك بالنسبة لنمو الاقتصاد العالمي لهذا العام، تنسجم مع قراءته التدليسية لوضع الاقتصاد العالمي التي ينطبق عليها القول المصري الشعبي "كده وكده". فهو خفض من نسبة النمو التي كان توقعها في يناير الماضي بواقع 1.2 نقطة، من 3.8٪ الى 2.6٪، والى 2.2٪ في 2023. هذا تراجع كبير عن معدل النمو الذي حققه الاقتصاد العالمي في العام الماضي (5.1٪)؛ لكن هذا كان بعد الخروج العالمي الجماعي من اقفالات الكوفيد والتي جاءت في صورة ردة فعل قوية متوقعة. بل إن معدلات النمو التي يتوقعها البنك الدولي للاقتصاد العالمي لهذا العام (2.2٪)، ستكون معقولة ومقبولة جداً إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الأخطار التي تتهدد الاقتصاد العالمي. طبعا هذا في حال تحققت وفي حال صمد الاقتصاد العالمي في وجه العواصف التي قد تتحول الى تسونامي. حينها لن تفيد البنك الدولي رطانة صياغاته اللغوية المنتقاة بعناية لعدم التشويش على تدولات قاعات القمار في بورصات الأوراق المالية العالمية (كمثال استخدامه مصطلح التباطؤ الاقتصادي "Slowdown"، تهربا من كابوس الركود الذي بات اليوم حديث عديد الأوساط الاقتصادية في العالم.

في توقعاته الجغراقية الاقتصادية، سينخفض النمو في اقتصادات البلدان النامية (بما فيها بلدان الاقتصادات الصاعدة) من 6.6٪ في 2021 إلى 3.4٪ في 2022، أي الى أقل من متوسط نموها السنوي المسجل خلال الفترة من 2011 الى 2019، والبالغ 4.8٪، لكنه يبقى أعلى من متوسط نمو الاقتصاد العالمي المتوقع.

صندوق النقد الدولي، هو الآخر، أعاد النظر يوم الثلاثاء 26 يوليو 2022 في توقعاته بشأن نمو الاقتصاد العالمي، وخفضها من 3.6٪ الى 3.2٪.

لا يستطيع تكنوقراط البنك الدولي، وهم يقترحون مرئياتهم لمواجهة تحديات الأزمة الاقتصادية العالمية الداهمة، أن يتخلوا، حتى في هذه الظروف الاستثنائية، عن دس روشتة "اجماع واشنطن" (Washington Consensus)، وهي وصايا عشر كان قد وضعها في عام 1989، الثلاثي: صندوق النقد الدولي، ووزارة الخزانة الأمريكية والبنك الدولي نفسه. وهي روشتة تفرضها واشنطن على بقية العالم قسراً عبر آليات عمل المؤسسات الثلاث التي تتخذ من العاصمة الأمريكية مقراً لها. فهم يدعون في ختام تقريرهم، الى ضرورة امتناع صنّاع القرار عما أسموه السياسات المشوهة مثل ضبط الأسعار والإعانات وتقييد الصادرات (أي أنهم يحذرون الحكومات من مغبة تخليها عن روشتة اجماع واشنطن. فهم يقصدون بضبط الأسعار، عدم تدخل الدولة في أسواق السلع لضبط انفلات الأسعار نتيجة لتلاعبات أرباب تجارة الجملة والتجزئة. ويقصدون بالإعانات، منع الحكومات من إعادة مخصصات الدعم لموازناتها العامة، ويقصدون بتقييد التصدير، زجر الحكومات لمنعها من ضبط صادراتها وارداتها في الظروف الاستثنائية. وهو حق كفلته لها قواعد منظمة التجارة العالمية التي تحظى الدول الرأسمالية الكبرى باليد الطولى في عملية صناعة قراراتها.

يدرك معدو التقرير ما ستنطوي عليه الأزمة المزدوجة: الركود (تراجع معدلات النمو لستة أشهر متتالية)، والتضخم، أي ارتفاع أسعار السلع الأساسية والغذائية نتيجة لارتفاع تكاليف انتاجها وتكاليف شحنها ونقلها وتأمينها. وهم لذلك ضمّنوا التقرير مناشدة خفيفة لحكومات الدول النامية بضرورة توخي الحذر في الانفاق، وإعادة جدولة أولوياته أخذا بعين الاعتبار إغاثة الفئات الهشة من السكان. كما ضمنته إشارة خاطفة الى أن يأخذ الدائنون بعين الاعتبار، تسريع عملية تخفيف الديون. فهذا آخر ما يفكر فيه نادي لندن الذي أنشأته مجموعة الدول السبع الرأسمالية الكبرى والمؤسسات المالية الدولية التي تديرها كمنصة للتفاوض بين الحكومات المدينة والبنوك الدائنة، ونادي باريس المخصص للتفاوض بين الدول الدائنة والدول المدينة.

وهم بالتأكيد لن يقاربوا موضوع الفساد الذي تلتهم اسفنجته ما يصل الى ثلث اجمالي الناتج المحلي، ولا يقاربون الثروات الخاصة المودعة في المصارف الغربية وفي ما تسمى الجنات الضريبية، والمتمتعة بمزايا السرية. هم يطالبون، كما فعل قبل أيام زملاؤهم في صندوق النقد الدولي من مصر الغاء الدعم كليا، ويريدون أن تبتعد الدولة عن الاقتصاد، وتفتح المجال للخواص، ويريدون استبعاد الجيش المصري من المشاريع والجهود التنموية التي ينهض بها في كافة محافظات البلاد. وهذا بعض مما كشفه الإعلامي وعضو مجلس الشعب المصري مصطفى بكري.

المُهرج
إيطاليا بين عدم الإستقرار والتحوّل السياسي

إيطاليا هي مهد الشعبوية اليمينية المُتطرفة التي نراها الآن في جميع أنحاء أوروبَا. وذلك نظراً لأن نظام الحكم غير المستقر بشكل دائم يُوَلّد شكلاً من أشكال السياسة التي تستغل إنعدام الأمن وعدم الثقة عند الإيطاليين، بينما هو يبتسم بِخُبث طوال الوقت. كان الإنتصار الإنتخابي المُدوي الذي حققهُ حزب Fratelli d'Italia (حزب إخوة إيطاليا) بقيادة جيورجيا ميلوني في الإنتخابات العامة الإيطالية في شهر أيلول/ سبتمبر بمثابة تحوّل سياسي كبير في بلد كانت تُديرهُ في السابق حكومة Mario Draghi الموالية لأوروبا. لأول مرة مُنذُ الحرب العالمية الثانية، سيحكم عضو مؤسس في الإتحاد الأوروبي حزب يميني مُتطرف لهُ جذوره في فترة ما بعد الفاشية.

جورجيا ميلوني

مارين لوبان

ترجمة:
غريب عوض

بقلم:
Anna Bonalume

إذا ألقينا نظرة على التطور الإقتصادي والسياسي في إيطاليا على مدى العقود القليلة الماضية سيُساعد في وضع نتيجة شهر أيلول/سبتمبر في سياقها الصحيح. ويتميّز المشهد السياسي والمؤسسي الإيطالي بعدم الإستقرار الهيكلي. فمُنذُ نشأة الجمهورية في عام 1946، كان لدى إيطاليا ما لايقل عن 62 حكومة من مختلف الإطياف السياسية: وهو اتجاه مُستمر حتى اليوم، حيثُ تستعد البلاد لتدشين حكومتها الرابعة مُنذُ عام 2018.

كان أحد العوامل الرئيسية في هذا الإنتقال المُتكرر للسلطة هو عملية "Mani Pulite" (الأيدي النظيفة) التي بدأت في عام 1992. سلسلة من التحقيقات التي كشفت عن نظام للفساد الإقتصادي وتمويل الأحزاب غير القانوني، كان للفضيحة تأثيرٌ عميق على المجتمع الإيطالي، الذي بدأ بشكل مُتزايد في رفض الطبقة السياسية برُمَتها.

وقد زاد هذا الشعور بعدم الثقة من خلال التقدم الإقتصادي المُخيّب للآمال للغاية: فقد كان النمو الإقتصادي بطيئاً للغاية مُنذُ التسعينيات وتواجه البلاد أيضاً شيخوخة السُكان وظروف العمل غير المُستقرة بشكل مُتزايد.كما يتضح من إحصاءات المُفوضية الأوروبية، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التعاون الإقتصادي والتنمية ، فقد أهملت الحكومات المُتعاقبة العديد من القضايا الرئيسية: الفجوة الكبيرة في الأداء الإقتصادي بين شمال وجنوب البلاد، ومُشكلة التَهَرُّب الضريبي، والمُشكلة الهيكلية. ضُعفُ القطاع العام، ونقص الإستثمار في الإنتاج ، والبطالة بين الشباب، ونظام التعليم الذي الذي لا يرتقي إلى مُتوسط التعليم في دول الإتحاد الأوروبي في معظم المُؤشرات.

أنتج هذا الوضع أسلوباً جديداً لإدارة السياسة: الشعبوية التي جسدها سيلفيو بيرلوسكوني ، الذي كَسَبَ أول فوز إنتخابي في عام 1994. الذي كان شُعارهُ "رئيس عامل لتغيير إيطاليا"، يُصوّرُ رجُلاً كان نجاحهُ بالكامل بفضل جهودهِ الخاصة والتي تم تحقيقها على الرغم من بيروقراطية الدولة. لقد وصلت إلى الهدف مع الناخبين الذين اعتقدوا أن رجل الأعمال ذي الكاريزما القادر على خلق وظائف سيكون أفضل من المؤسسات الفاسِدة التي لم تعُد قادرة على ضمان الصالح العام.

ومُنذُ ذلك الحين، ألهمت قوة هذا النهج القادة الآخرين الذين يسعون إلى زعزعة الوضع الراهن بسرد جديد وقوة الكاريزما الشخصية الخاصة بهم 5 Movimento Stelle، الحركة المُناهِضة للمؤسسة التي أنشأها المُمثل الكوميدي Beppe Grillo في عام 2009، فازت بنسبة 25.5٪ من الأصوات في الإنتخابات العامة في عام 2013 وأستمرت لتُصبح القوة السياسية الأولى في البلاد، حيثُ فازت بنسبة 32٪ من

الأصوات في عام 2018. عدو Grillo المُعلَن هو ال casta، الطبقة السياسية الفاسِدة. ويُـغـازل أفـكـارهُ المُتغيّرة والإنتهازية كُلاً من اليسار واليمين ، حيثُ اختلطت القضايا البيئية والعدالة الإجتماعية ومُعارضة حقوق المُهاجرين.

كانت حركة الخمس نجـوم الأكـثر نجاحاً في جنوب إيطاليا ، بينما حقق حزب Lega، وهو حزبٌ شعبوي يميني مُتطرف، أيضاً نتائج مُمتازة في ظل قيادة زعيمه اللامع ماتيو سالفيني Matteo Salvini، خاصةً في الشمال. ماتيو سالفيني عضو سابق في البرلمان الأوروبي من مدينة ميلانو ويُعرف من بين أنصارهِ بإسم "الكابتن"، أسس حملته الإنتخابية حول الهجرة والتخفيضات الضريبية والصراع المفتوح مع الإتحاد الأوروبي. وقادَ حزبهُ إلى أفضل نتائج انتخابات على الإطلاق في عام 2018 بنسبة 17.3٪ من الأصوات.

الوجوه الجديدة لليمين المُتطرف

عند هذهِ النقطة، تقارب مصير حزب Lega في إيطاليا مع مصير حزب التجمع الوطني في فرنسا، بعد تحالفٌ طويل بدأ عندما أنضم كِلا الحزبين إلى نفس المجموعة البرلمانية الأوروبية، "الهوية والديمقراطية". وعلى جانبي جبال الألب، شرع المُعجبان بالرئيس الروسي بوتين في جعل حزبيهُما أكـثر قبولاً للجماهير: لقد لوَح Salvini سالفيني بصليب في يـدهِ لإثـبـات ولائـهِ للقيم التقليدية والهوية المسيحية لأوروبـا، بينما حاول لوبان التركيز إلى الرعاية الإجتماعية خلال الجائحة ومن ثم القوة الشرائية في مواجهة التضخم، كانت الإنتخابات الفرنسية في عام 2022 بمثابة ذروة هذهِ العملية: لدى الجبه الوطنية الآن عدداً قياسياً من النواب (89) في الجمعية الوطنية، بينما كان لدى حزب Lega 133 نائباً مُنتخباً في عام 2018.

لكن سالفيني Salvini فقد اتجاهاتهِ مُنذُ ذلك الحين. فتضررت سمعتهُ بسبب افتقاره لضبط النفس وتناقضاته خلال الجائحة وحرب أوكرانيا، ذلك الوضع الذي استقلتهُ بسرعة عُضوة أُخرى في الإئـتـلاف اليمَيني، جيورجيا ميلوني Giorgia Meloni. حاولت ميلوني خلال حملتها الإنتخابية إخفاء خلفيتها كناشطة سابقة في حـزب التحالف الوطني ما بعد الفاشية، وبدلاً من ذلك شددت على الصعوبات الإقتصادية التي تواجهها الأُسر الإيطالية وفصائل 'الأسرة الطبيعية'. لقد تم وضع الأُسُس لإنتصارها بلا شك من خلال أسلوب سالفيني الشعبوي وخطاباتها المُثيرة للإنقسام بقدر ما كان ذلك بسبب السخط الإجتماعي الواسع الإنتشار.

كشفت المُشاركة القياسية المُنخفضة (37٪) في هـذهِ الإنتخابات العامة الإيطالية عن هشاشة النظام السياسي: أزمة الأحزاب، والقوانين الإنتخابية التي تُشجع على تكوين الأئتلافات، وعبادة الشخصية المُحيطة بالقادة، والمجتمع الـذي تـأثـر بشدة بسبب التضخم، المواطنون الذين يشعرون بالإنفصال المُتزايد عن السياسة. إلى جانب هذهِ القضايا الإيطالية المُحددة، هناك أيضاً مشاكل مُشتركة في البُلدان الأخرى. كلُ هذهِ الشخصيات السياسية تصوّر نفسها على أنها أُناس عاديون، يأتي المنتقمون «لإغتيال» المؤسسة، سواء أكان اليسار أم التكنوقراط أم القطاع المالي.

ومـثـل سالفيني، تُـقـدم ميلوني Meloni نفسها كشخص عـادي: فهي تؤكد على روايتها الشخصية عندم كانت طِفلة ترعرعت في مناطق الطبقة العاملة في روما، تخلى عنها والدُها لكنها تمكنت من سحب نفسها بواسطة خيوط حذائها (مُستعيدة قصة برلسكوني، شخصية الرجل العِصامي).

يـرتـدي الـزُعـمـاء الشعبويون الإيطاليون الثلاثة عن عمد نفس قِناع المُهرج: يُشاهدون عروضهم التلفزيونية الـعـديـدة، واسـتـخـدامـهـم المنهجي للأبتسامات والضحك مُذهل. في فرنسا ، تُحب مارين لوبان Marine Le Pen أيضاً أن تُرى تُغني وترقص وتضحك كما في معرض باريس الدولي للزراعة أو عند زيـارة المؤسسات الفرنسية الخارجية قبل انتخابات عام 2022.

تتسلل أفكار اليمين المُتطرف تحت غطاء هـذهِ الـوجـوه المُطمئنة، والتي تخفي الطبيعة الإستبدادية الحقيقية لسياساتها (إغـلاق المـوانـئ في وجه المُهاجرين، والدفاع عن الأسرة الطبيعية وتقييد الحق في الإجهاض، وهو نهج "إيطالي بـالـدرجـة الأولى"). توحي الإبتسامة غير الرسمية الودودة، والتي غالباً ما تكون مدعومة باختيار الملابس ذات الألـوان الفاتحة، بوجود شخص مُتعاطف ومتشابه في التفكير يتغلب على مخـاوف الشعور بالوحدة وعدم الوضوح والمستقبل غير المؤكد .

لم يَـعُـد هـنـاك أي حـاجـز عقلاني للخوف في مواجهة غياب الأمن الدولي والمناخي، والعلاقات الشخصية غير المستقرة، وظروف العمل غير المستقرة؛ يتشكك الناس في المؤسسات ولم يعودوا يشعرون بأنهم جزء من تشكيلات المجتمع القوية. لقد تسلل القادة الشعبويون في أيطاليا وفرنسا وأماكن أُخرى إلى هذا الخوف. إن التحولات المستمرة في الحياة السياسية الإيطالية، وميل لاعبيها الرئيسيين لتغيير أماكنهم على رقعة الشطرنج السياسية، يزيد هذا الخوف. كان حزب جيورجيا ميلوني اليميني المُتطرف، مثل حزب مارين لوبان، قادراً على الإستفادة من هذا التحول.

سلامة موسى .. رائد التنوير المنسي

جعفر محمد

في عالم الفكر والكتابة، تتنوّع المواضيع التي تأخذ المجال في التحليل والمناقشة، التي من خلالها نحاول الوصول إلى المعاني الجديدة، في القيم والاتجاهات والأهداف. هذه المعاني التي تأخذ من الأهميّة والجدارة، بالقدر الذي تتجه فيه نحو أسئلة الحياة الكبيرة، باحثةً عن الدور والمكانة، التي يسعى ويرتقي لها الانسان في هذه الحياة.

الشخصية التي يضيء عليها هذا المقال، لها من المكانة والتأثير في الفكر العربي الحديث، خصوصاً ذالك الذي تجوهر في قيم التنوير والتقدُّم والنهضة. وقد قرأت مقالاً عبر (موقع صوت العراق) لكاتبه المحامي: أحمد سامي داخل، واصفاً شخصية الموضوع الرئيسية، برائد التنوير المنسي، ولذالك يكون العنوان أعلاه، هو جزءٌ من الوفاء، لشخصية النهضة وكاتب المقال.

الكاتب المصري سلامة موسى (1887 – 1958)، تعلمنا من خلاله الجوهر الأوّل لمعاني الفكر والكتابة، وهي الكتابة الهادفة، النابضة بالقيم البشرية، التي استطاعت الحضور عبر الكتاب والكلمة، والوصول إلينا في الحياة العصرية.

هل هو الالهام أم الاهتمام، ذالك الذي يقودنا نحو هذه القيم والأفكار ؟ وهنا نسأل عن البدايات مع الكاتب سلامة موسى، وأنني أستذكر القراءة الأولى مع كتابه: (فنّ الحياة)، والذي أعتبره من أجمل الاضاءات على قيم التمدُّن العصرية؛ في الحياة والثقافة والتربية، وأيضاً في الزواج والأسرة والشخصية. وعندما أعود لمطالعة فصول هذا الكتاب وصفحاته، أشعر بأهميّة القراءة الثانية إليه، للاستيعاب الشامل لمعانيه وأفكاره.

القراءة لفكر سلامة موسى، هو أشبه بالدخول إلى بوابة واسعة من التنوير والتمدُّن، ذالك الذي يقودنا نحو الأسئلة المهمّة في هذه الحياة؛ أسئلة التغيير والارتقاء نحو الأفضل. وقد وصفنا التمدُّن سابقاً، بأنه الحياة الأكثر تنظيماً للانسان. ومبدأ التنوير هو أحد عناوين هذا التنظيم، ذالك الذي ينهض بالمجتمع والانسان؛ ونستطيع أن نختصره بالوعي واستخدام العقل. وعندما نقوم بمقاربة أسئلة التنوير مع مجتمعاتنا التي نعيش فيها، تتأكد لدينا أهميّتها، من أجل النهوض بالحاضر والارتقاء بحياتنا.

الأفكار والمعاني الهادفة، هي المقياس الأوّل للمنجز الثقافي والفكري، وهذه المعاني هي القاعدة والمبدأ، عند رائد التنوير سلامة موسى.

إن الآفاق الهادفة لفكر التنوير، نتعرّف عليها من خلال التحديث والتطوير في الحياة الانسانية، والتي اختصرها رائد التنوير بزيادة التعليم والصحّة والثراء؛ وجميعها غايات نبيلة ومنشودة، تتبلور منها قيم الخير العام. ودعوة التعليم كانت واضحة وضرورية، في العقود الأولى من القرن الماضي، من أجل النهوض بالمجتمعات في تلك المرحلة، والتي تجاوزتها المجتمعات الحالية. ولكننا نواجه اليوم الأزمة الأصعب، عبر تراجع النقد والتنوير في حياتنا، ومن تغليب للجمود والتقديس، وهنا يكون الوعي الاجتماعي، أمام التحدّي والمسؤولية؛ بين الخضوع والتقليد أو التحرر والتجديد.

التحدّيات الاجتماعية تعود في الأساس إلى التحدّيات الفكرية، ومبدأ التنوير يعالجها من خلال الابتكار والتفكير؛ وأزماتنا الحاضرة هي الدليل الأكبر على ذالك. وعندما نقرأ مؤلفات سلامة موسى، نشعر بتلك الجهود الكبيرة، التي عالجت وناقشت شؤون الحياة المختلفة؛ في التربية والثقافة والتمدُّن، وأيضاً في الأبعاد الانسانية والحضارية المنشودة.

مكانة التقدُّم في فكر سلامة موسى، كانت حاضرةً دائماً في نهجه وأفكاره، وقد تجاوزت النظريات التقليدية، ووصلت إلى الأبعاد الشاملة في المبادئ التقدُّمية؛ من خلال العلوم النفسية و (الثقافة السيكلوجية)، التي ذهبت لتحليل الشخصية الانسانية والاتجاهات الاجتماعية. لقد كانت النظريات التقليدية تعتقد بالوراثة في شخصية الانسان، ولم تدرك قيمة النمو في الشخصية، متجاهلةً الوسط العائلي والاجتماعي؛ وقد أثقلت هذه المعتقدات والأفكار بحياة الانسان، وجعلته بعيداً عن التطوّر والارتقاء. ولا زالت الثقافة العربية لم تستوعب جيداً هذه المفارقة المهمّة. إن التقدُّم في الحياة يكون عبر الأفكار الحسنة، الايجابية والهادفة، التي تقودنا نحو الخير والهناء الانساني. وتحقيق هذه القيم في عالم اليوم، عالمنا العربيّ خصوصاً، يحمل من الصعوبة والمسؤولية الكثير. هذه الصعوبة التي تهون بقيم العلم والعدالة والوعي الانساني. وتختلف هنا طبعاً الأمم والبلدان في ذالك، بقدر ما وصلت فيها مستويات العلوم والتقدُّم والحضارة.

لقد قدَّم رائد التنوير المنسي الكثير من قيم التقدُّم والنهضة إلى المجتمعات العربية، وقد يكون أجملها هو اعادة الاعتبار لمكانة المرأة وشخصيتها في الثقافة العربية. وفكرة المساواة بين الرجل والمرأة هي الغاية المألوفة والطبيعية في حياتنا الحاضرة؛ ولكن هذه الفكرة، في العقود الماضية، كانت بعيدةً عن ذالك، في الفكر والوجدان العربي. إن تاريخنا الماضي بالنسبة للمرأة، كان مليئاً بعدم التقدير والاحترام لمكانتها وشخصيتها، والسبب الرئيسي وقتها، هو العادات والتقاليد والأميّة المتفشية. والجمود في البلاد العربية قصته طويلة، نتعرّف عليها عبر مقارنة الحاضر مع فصول التاريخ الماضي؛ من خلال الخضوع والتأييد للرجعية الاجتماعية والمفاهيم التقليدية السيئة. ولذالك تتأكد لدينا أهميّة التقدُّم في القيم والأفكار؛ لتأسيس نهضة اجتماعية جديدة، عنوانها الأوّل: مكانة الأفراد والحريات الشخصية. وهذه النهضة الطبيعية، تنشدها المجتمعات الحديثة، تلك النابضة بالثقة والاحترام والشجاعة وتحمُّل المسؤولية.

الاتجاه في الحياة، هو أحد الأسئلة المهمّة التي يواجهها الانسان في حياته؛ فهو يولد إلى هذه الدنيا بغير ارادته، ينشأ في الوسط الذي يعيش فيه، ويتعلم منه القيم والمعاني وأسلوب الحياة، دون معرفة الماضي أو الحاضر في هذه القيم. ومن خلال طبيعة الحياة في التغيير والتطوير، يتشارك معها الانسان في مواكبتها نحو الأفضل، أي نحو الاتجاهات الحسنة والراقية. ولكن هذه الطبيعة، تكون متراجعةً في بعض البيئات والمجتمعات، خصوصاً تلك التي ورثت تاريخاً ثقيلاً من الخوف وعدم الاستقرار؛ فتلجأ إلى الجمود والتقاليد، وتعود إلى الماضي بدلاً من مجابهة المستقبل.

إن عدم معرفة القدوة الحسنة والاتجاهات الواضحة، هو جوهر الأزمات التي نعيشها في حياتنا، من خلال الابتعاد عن المبادئ الهادفة لفكر التنوير والتقدُّم. والتراجع الذي نعيش فيه اليوم في مجتمعاتنا ودولنا، هو نتيجةٌ لغياب هذه الأفكار. ومبادئ الخير العام والمصلحة العامّة تنهزم في الحياة العربية، لأن خطواتنا تجاهها غير واضحة، ومن النزاهة والعدالة أن تكون هذه المبادئ؛ القدوة الأولى في حياتنا.

الاضاءة والتنوير على القيم الهادفة، التي أنارها سلامة موسى في فكره ومؤلفاته، هو طريقٌ يقودنا للوفاء إلى أنفسنا، من خلال ضمانات المستقبل، في النهضة والاستقرار والعدالة. هذه الضمانات التي تحملها المبادئ التقدُّمية، هذه المبادئ المنسيّة في حياتنا، التي تراجعت فيها قيم التحديث والتطوير، والذي شمل جميع مسارات حياتنا؛ الاجتماعية والسياسية، الادارية والاقتصادية، التربوية والثقافية. وقد قرأنا على صفحات هذه النشرة، قبل أكثر من عام، مقالاً يضيء على أحد فصول سيرة سلامة موسى، والذي كان عنوانه: (برنامج السنوات العشر القادمة)، وهو يعكس المرحلة السياسية التي عاشتها مصر في تلك الفترة، أي في العام 1947، ورغم صعوبة تلك اللحظة الراهنة، كانت الرؤية حاضرة والآمال متجددة عند سلامة موسى. ومن أجمل الوعود التي وعدها رائد التنوير المنسي في هذا المقال، أنه لن يتوقف عن تأليف (الكتب المقلقة) لتكون خمائر صغيرة، يبعثها في مصر وإلى سائر الأقطار العربية (من أجل زعزعة التقاليد السود، وحرق العفن من الأفكار الجامدة). وهنا يكون التأثير، بل الشكر الجزيل، إلى الكاتب الذي أضاء على هذا المقال المنير والرائع. التأثر والتأثير هو من طبيعة الحياة الفكرية والثقافية، والاتجاهات المنشودة في حياتنا، تكون عبر هذه الأسئلة المهمّة، من أجل معرفة الطريق والمسار الذي نمضي فيه في هذه الحياة. وبقدر ما يكون الانسان مدركاً لقيم الحياة العليا في التطوّر والنهضة، على قاعدة الاحترام الانساني وقيم الخير العام؛ يكون حينها سائراً على الطريق الصحيح والمنشود. والحياة العصرية الحديثة، حافلة بالكثير من التحدّيات والأسئلة، وفكر سلامة موسى، يحمل لنا الكثير من الاجابات وخرائط الوصول، إلى هذه الحياة الطبيعية والمتوازنة. هذه الحياة، وهذه الغاية، المنشودة لدى سائر المجتمعات البشرية.

ماذا يعني لكَ الوطنُ ؟!

حسين الشويخ

سُئلَ الفيلسوفُ الفرنسيُّ جانْ جاكْ رُوسُو: ما الوطنُ؟

فأجابَ: الوطنُ هو المكانُ الذي لا يبلغُ فيه (مُواطنٌ) مِنَ الـثراءِ ما يجعلهُ قـادرًا على شراءِ (مواطنٍ) آخرٍ، ولا يبلغُ فيه (مواطنٌ) منَ الفقرِ ما يجعلُهُ مضطرًا أنْ يبيعَ نفسَهُ أو كرامتَهُ.

فهوَ ليسَ سُؤالًا تجيبُ عليهِ وتمضِي.. إنّهُ حياتُكَ وقضيَّتُكَ معًا.

لذا تُعدُّ قضيّةُ المواطنَة والوطنيّة مِنَ القضَايَا المُهمّة التي أشَغلتْ ثيرًا مِنَ المُف رينَ والفَلاسفة ، ودعاةِ السّلامِ العالميّ والأخْـلاق، ومنْ بينَ هؤلاءِ ستيفن ناثانسون الّذي تناولَ القضيةَ منْ منظُورٍ سياسيّ، وأخلاقيّ، وعالَميّ؛ حيثُ دَعا للمُواطَنَةِ العَالَميّة المُرتبطَة بالمَنفعَة العَامّة، وخاصةً منْ مُنطلقِ نفعيّة القَواعد الأخْلاقيّة، ما انَ لاهتمامه بالوطنيّةِ النّصيبُ الأبرُ في فلسفَته، فأوضَحَ المَقصودَ منْها، وفرَّقَ بينَ أنواعِ الوطنيّات المختَلفة ، وقدَّمَ نوعًا جديدًا للوطنيّة أسْماهُ: "الوطنيّةُ المعتدلةُ"، وحدَّدَ سماتَ الوطنيّ المُعتدل، وموقفَهُ منْ التَّحيُّزِ والحياديّة تجاه مواطني الدّول الأُخرَى، وأدّ أنَّ ضَياعَ الوَطنيّة ذاتَ الطّابعِ العَالميّ والإنْسانيّ هوَ الطّريقُ لنُشُوبِ الحُرُوبِ وانْدلاعها.

وفقًا لـذلـكَ يُمكنُ أنْ تُحـدّدَ الوطنيةُ على أنَّها حُبُّ الفردِ لوطَنه وتَماهيه فيه، واهتمامُهُ الخـاصُّ بمـا هـوَ خَـيرُ لـوطـنـه ومـواطـنـيـه. يعتَقدُ الكثيرُونَ أنَّ الوطنيّةَ تعْبيرٌ طبيعيٌّ وملائمٌ عن ارتباطِ الفردِ بالبلَدِ الذي ولدَ وتَربّى فيهِ وينتَمي إليه، وعنْ عرفانِهِ بالجميلِ لمنافعِ الحياةِ فوقَ أرضِه ووُفقَ قَوانينه.

إنَّ الوَصفَ الأشملَ للوطنيّة يكمنُ في فضائلِ البلد، وأنْ يكونَ مُرتبطًا بماضٍ ومُستَقْبلٍ يتَجاوزانِ الهُمُومَ الضيّقَةَ للحياةِ الفرديّة واهتماماتِها الدُنْيويّة. بالإضافة إلى التَّطرُّقِ للشُّروطِ الاجتماعيّة والسِّياسيَّة الّتي تُؤثّرُ في انحسارِ وتَدفُّقِ الوطَنيَّة، وتَأثيرِها الحضاريِّ والسّياسيّ وغيرهم...

الوَطنيَّةُ منَ النّاحيةِ الفَلسفيَّة تتَضَمَّنُ:

- عاطفةً خاصّةً للفردِ تجاهَ وطنه.
- إحساسًا بالتّماهي الشّخصيّ معَ الوطَنِ.
- اهتمامًا خاصًّا بخَيرِ وصالحِ الوطنِ.
- استعدادًا للتّضْحيَةِ لتَعزيزِ خيرِ ومَكانَةِ الوطَنِ.

وعندَما يُسألُ الوطنيّ "مَا الذي تَجدُهُ جيِّدًا في وطَنكَ ليجعَلكَ تُحبّهُ و تُصبحَ مواليًا لهُ؟". لاشَكَّ أنَّهُ سيجيبُكَ: ما

يقدِّمُهُ وطنُهُ للمُواطنِ منْ فضَائلَ ومُنجَزات.

إنَّ الوطَنيّةَ تَقتَضِي تَأييدَ الفردِ لوطنه بكلِّ الأحـوال؛ لأنَّ ذلـكَ الوطنَ هوَ وطنُهُ وحَسْبُ، والـوَلاءُ يَكونُ للوطَنِ "في المَقامِ الأوَّل" ، وعليه نجدُ الوطنيَّ مدفوعًا بوطَنيتِه لأنْ يُفكّرَ في وطَنِه كمَصيرٍ مقدّس، بغضِّ النّظَرِ عنِ المَزايَا والمَنجَزات؛ إذ الوَطَنيّةُ مَثلُها مثلُ أيَّة هُويَّة فرديّة كانتْ أمْ جمعيّةٍ تتعيّنُ في جُزءٍ منْها في الـولاءِ الوَطَنيّ.

والوطَنيُّ المُعتَدلُ يتوقَّعُ منْ وطنه الرّقيّ إلى مستَوىً مُعيَّنٍ منَ المَعاييرِ، ممّا يُحفّزُه هَذا لفكرةِ دعمِ الوَطَنِ والإخْلاصِ لَهُ ، ويدفعُهُ لاستمرَاريّة اهتمامِه الخاصّ بخيرِه وصالحِه...

وعَليه نَجدُ اتباعَ الوطَنيَّة يُحبُّونَ وطنَهُم بدُونَ قيدٍ أو شرطٍ، ويَدعمُونَهُ مهمَا فعلَ طالمَا أنَّ أمْنَهُ و"مَصالحَهُ العُليا" الأكثرُ عمومًا في موضعِ قَلق.

وللوطنيةِ معاييرُ يقاسُ عَلَيها مَدَى انْتماءِ الفردِ انتماءً صادقًا لوَطنه ، ولعلَّ أبرزَ هذه المعاييرِ مايعرفُ بالفاعليّة التّطبيقيّة لا الأقوالُ والانفعالاتُ والشّعاراتُ فقطْ، فمَيادينُ الوَطنِ بحَاجةٍ إلى وطنيينَ فاعلينَ وعَاملينَ وليسَ لمُتمَظهرينَ متلبِّسينَ بأثْوابِ الوَطَنيّة القَوليّة المُجرّدة، ولا للمُطنطنينَ بالشّعارَاتِ دونَ أنْ يُحرِّكُوا سَواكنَهُم في القَضايَا الوَطَنيَّة السّاخنة الّتي تَمسُّ الوطَنَ والمُواطنَ عنْ قربٍ ، وتَضربُ مَصالحَهُما ..

لذا هُناكَ دافعيّةٌ وطَنيّةٌ مخْتزلةٌ في القُلُوبِ المُخلصَة تَجعلُ منَ الوَطَنيّ وثّابًا لكلِّ عقَبَةٍ كَؤود في وجْهِ الوَطنِ، وتَدفَعُهُ لأنْ يُقدّمَ أغلَى مايَمْلكَ دفاعًا عَنِ الوطَنِ والمُواطنِ ، نَعمْ هيَ وطنيّةٌ تَضعُهُ في مَفْصلِ التّحدّي معَ كُلِّ المحَنِ والمَصاعبِ التي يَمُرُ بهَا الوطنُ ، فيَخُوضُ المعَارِكَ والنِّضالَ نَصرَةً للوَطَنِ وتَضحيَةً وفِداءً لَهُ .

خِتَامًا لعلّني أُشيرُ لأمرٍ مُهمٍّ يُساعدُ في بناءِ الوطَنِ ، ألَا وهوَ التسامُحُ والتَّسلّحُ بالعلومِ العصريّة النافعَة لرقيِّ وتقدُّمِ الوَطنِ ، فكلُّ حضارَاتِ العالَمِ المعروفَة ما قامَتْ إلّا على أساسِ العلومِ والمعارفَ العصريَّة، فالوطنيةُ الحقّةُ تتَجَلّى في أبرَزِ صورِها حينَ يسعى الفردُ جاهدًا في بناءِ وطَنه على أساسِ العلمِ والارتقاءِ به إلى مراتبِ التّقدُّمِ والازدهارِ ليُشارَ للوَطَنِ بالبَنانِ بينَ الأممِ المُتَقدِّمة .

التصوّف في فكر هادي العلوي

جلال إبراهيم

الصورة النمطية السائدة للتصوف عند المثقفين والكتّاب العرب وغيرهم، تكاد تنحصر في اتجاهين، التصوف الفلسفي والتصوف الاهتيامي. لذلك تبرز بصورة لافتة شخصيات صوفية من قبيل: جلال الدين الرومي وشمس تبريزي، فيما تتوارى شخصيات صوفية هامة، مثل: إبراهيم بن أدهم وعبد القادر الجيلاني.

يأخذ التصوف عند هادي العلوي أشكال ثلاثة لا شكلين، إضافةً إلى التصوفين الفلسفي والاهتيامي، يحضر بقوة التصوف الاجتماعي، حيث يُعد من الركائز الأساسية لمشروعه الطامح في عودة المشاعية وانتصارها في الشرق. التصوف في منحاه الاجتماعي عند العلوي يتحوّل إلى نضال ومعارضة للسلطات الثلاث: سلطة الدولة وسلطة الدين وسلطة المال. ويهدف التصوف في هذا المنحى إلى تحويل الأموال الخاصة إلى أموال عامة وإجرائها في مصالح الناس اليومية بما يضمن لهم الطعام والملبس والمأوى والعلاج.

يضع العلوي تزميناً لانتهاء التصوف كنضال اجتماعي في القرن التاسع للهجرة مع عبد الكريم الجيلي وأن ما بعده كان دروشة. ويُقصد بالتصوف الدروشة الذي ينحصر في حلقات رقص فارغة لا تلامس هموم الناس ولا تعارض السلطات الثلاث من أجل تحقيق العيش الكريم للفقراء والجياع.

من هنا يلقي العلوي الضوء في كتابه (مدارات صوفية) على الأقطاب من المتصوفة دون غيرهم، فيفرد صفحات مطولة تتحدث عن حياة وفكر عامر العنبري وإبراهيم بن أدهم والحلاج والنفّري والمعري والجيلي. والقطب الصوفي يعيش في زهد وحرمان ناتج عن مسؤولية المثقف الكوني تجاه الخلق. والزهد في الأديان مفروض على العامة والخاصة معاً من حيث النظر وعلى العامة دون الخاصة من حيث العمل. أما المتصوفة فالحرمان ضريبة تُفرض على المشتغل في قضايا الناس أي أهل الثقافة وأهل السياسة. وقد أُلهموا حبّ الناس والخوف عليهم والدفاع عن حقوقهم وجعلوا ذلك من جملة المتع التي ينعمون بها حين يمارسونها.

لا يُفهم من الأسطر السابقة أن العلوي أهمل الشكلين الآخرين من أشكال التصوف، بل تحدث عن الاهتيام والتصوف الاهتيامي في (مدار الهاء) من كتابه مدارات صوفية. والتصوف الاهتيامي هو الذي يدور حول الحب والجمال إلهياً أم بشرياً ويختلف عن الاهتيام الشعري – الغزل – بالتجريد وبالجمع بين حب الكائنة البشرية المسماة امرأة وحب السماء. وفي (مدار الميم) وبالتحديد في ميم المعرفة يشير العلوي إلى أن التصوف المعرفي موجه لمعارضة سلطة الدين وتأسيس الربوبية التي تتذاهن مع السماء بلا وسائط. والتصوف كمنحى معرفة يتأوج عند البسطامي، الذي أخذ الشطح على يداه مداه الأوسع مخترقاً حجاب العقائد والمألوفات. وعند الحديث عن سلوك المتصوفة، خصوصاً الأقطاب منهم، يُدرجهم العلوي في دائرة السلوك الروحاني، أي مذهب الفرد الاجتماعي المؤنسن بالقيم الفاضلة والمثل العليا التي تلزم المثقف لتمكنه من الدفاع عن الخلق، وهم بذلك يمثلون النقيض للفكر الروحاني القريب من الدين.

هكذا هو حضور التصوف في فكر العلوي مناضل ومقاوم للسلطات الثلاث، ويعمل على الأرض بثبات من أجل راحة الخلق ونشر الحق.

جـــدل قـــديـــم

عاشت النساء محلّ نقد وانتقاد على مدى قرون من الزمن، وقد اُعتُبِر ذلك نوعاً من السلطة التي مارستها المجتمعات الذكورية عليهن، ما جعلهن يحتجن لكثير من الوقت لنيل شرعية تسمح لهن بممارسة النقد وإعطاء رأيهن فيما يحدث لهن وحولهن في الشؤون كلّها بدءا بما يرتدين من ملابس إلى طريقة عيشهن. على سبيل المثال إلى بداية القرن العشرين كانت النساء يمنعن من دخول المكتبات في حال حظين بالتعليم من طرف عائلاتهن.

د.بروين حبيب

وصول المرأة إلى عتبة الثقافة مثلا لزم كفاحاً طويلا، وقد امتدّ التحكم في تطوّر فكرها إلى مطلع القرن العشرين، وكانت النساء القلائل اللواتي أُفلِتن من تلك الأحكام الظالمة، لسن أكثر من حالات شذّت عن القاعدة. وقد شهدت الفضاءات الثقافية مخاضات عصيبة لولادة نساء من الأدب كون الأمر ارتبط مباشرة بقوّة الكلمة وما قد تحدثه من تغيرات في المجتمع كله لهذا كان التفضيل لقمعهن مريحا للجميع.

وإن كان هناك من يعتبر البدايات الشحيحة للنقد النسائي أمرا ذا شأن، فإنه في الوقت نفسه يفتقر للمستندات، كل ما ورد في الكتب يمكن تلخيصه في حكايات عمّا تمت صياغته شفهيا في صالونات أو مجالس حضرت فيها نساء مستمدّات سلطة الحضور فيها إمّا بسبب ثروتهن، أو دعم ذكوري لهن، قد يكون متمثلا في الأب أو الزوج أو العشيق، وقد ظلّ هذا الدعم موجودا منذ تلك الأيام إلى لحظة كتابة هذه الأسطر، رغم أن الجامعات أثمرت بكثير من الأسماء الأدبية والنقدية ليس فقط في العالم الغربي ولكن في العالم العربي أيضا.

لكنّ بدايات النقد النسائي وفق تصوُّري الخاص كانت تسترشد بإحساس المرأة وانطباعاتها المتواضعة والتعبير عن نفسها، بعيداً تماماً عن الأفكار العميقة. وهذا ربما يجعل البعض يتوقفون عند تلك المرحلة لنبذ موهبة المرأة الفكرية لخوض مجالات أكاديمية مهمة مثل مجال النقد. فكانت التهمة المنتشرة على مدى عدة قرون هي أن "المرأة عاجزة عن التفكير"، إلى أن كتبت فرجينيا وولف مقالها الطويل "غرفة تخصُّ المرء وحده" العام 1929، والذي لخّصت فيه كل العراقيل التي تجعل العملية الإبداعية صعبة على المرأة.

وفق وولف الموهبة ضرورية لكنّها ليست كافية أبدا لولادة مبدعات في كل المجالات خاصة الكتابة، فالمرأة المبدعة بحاجة لمساحة ذهنية نظيفة لا تحتكرها احتياجات الآخرين، تماما كما

فرجينيا وولف

تحتاج لاستقلالية مادية تطلق سراحها من معتقل المُعيل الذي يطالبها دوما بخدمات لا تنتهي.

وعلى كل وإن كانت تلك مرحلة عبودية طويلة إلاّ أنها شهدت أحداثاً كثيرة جعلت وعي المرأة يتطور شيئا فشيئا، فحتى وإن عُزلت عن عوالم الرجل إلاّ أنها على المدى الطويل تأثّرت بنتاجه الفَكري، كما تأثرت بسلوكه أيضاً، لكن حدث أيضا أنّها كانت مؤثّرة على رجال تمكّنوا من فهمها ومعرفة قيمتها خارج إطار الجسد الذي اختصرها إلى "آلة حية منتجة للمتعة" لا غير.

ترى ماذا كان ينتظر العالم من الأنثى التي يتم توجيهها منذ نعومة أظافرها إلى أشغال البيت، وتهيئتها للزواج؟ من المنطق أن ندرك أن ذلك كافيا لإخفائها حيث لا يمكن لها الظهور بغير عباءة الخضوع لقواعد عملت على وقف تدفق أفكارها إن خالفت المسار المرسوم لها. بعض النساء اللواتي خلعن هذه العباءة اُتُّهمن بالسمعة السيئة لأنهن لم يحترمن الأعراف والموروث الدينِي. هذا المصير الذي عاشته نساء الغرب، نعيشه بحذافيره اليوم مع استثناءات قليلة لا تتناسب مع جحافل المتخرجات من الجامعات العربية كل سنة.

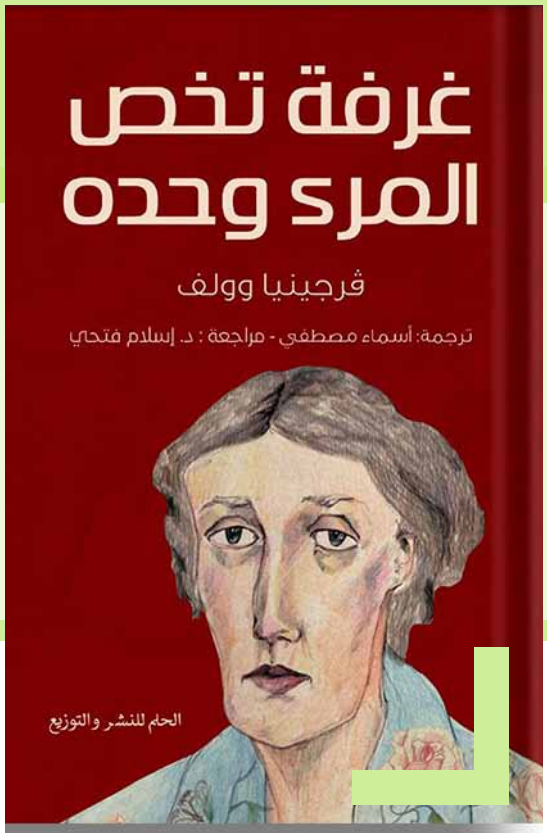

إيما غولدمان

والآن لنكن صرحاء مع أنفسنا ونطرح أسئلة شجاعة على نسق: ماذا قدّم حق التصويت للمرأة في مجتمعات تدين كل شيء للرجل؟ وفي الشأن الثقافي ما هي مساهمة المرأة في انتاج الخطاب النّقدي في مجال الأدب والفنون؟ من المؤكّد أن النسويات "المتشدّدات" هن اللواتي استخرجن جثث عدد كبير من المبدعات من قبور النسيان، وصحّحن التاريخ الذي قام بإخفاء أو إهمال نساء ناضلن من أجل عدالة إنسانية تضمن للمرأة حق التعبير عن الذات والعيش بكرامة. من المؤكّد أيضا أن استيعاب النساء للخطاب التفاضلي الذي صاغه الرجال يشكّك في الدور الذي تلعبه الكاتبات، أمّا مسألة وصول المرأة إلى الخطاب النقدي فقد صُنّفت كمسألة مصداقية، إلى اليوم تعتبر إسهامات المرأة شحيحة جدا في نظريات الأدب، وهذا ما يمكن تسميته بتقليص تواجدها في حدود السلطة الفكرية الفعّالة.

أود أن ألفت نظر القارئ إلى الصلة بين حق التصويت الذي تمارسه النساء للتفضيل بين رجل وآخر للتربع على عرش السلطة، وبين الأحكام النقدية التي تضع الأدب "النّسوي" في خانة و "النّسائي" في خانة بعيداً عن الكلّ الجامع للأصناف الأدبية! وبودّي اليوم أن أطرح سؤالاً أكثر جرأة: في أي مأزق تقع سلطة النّقد أمام انهيار الفروقات "الجنسية" بين المبدعين والنقاد بولادة الجنس الذي لا جنس له، أو بشكل أوضح ما نعني به

سيمون دي بوفار

المرأة التي ليست امرأة تماما والرجل الذي ليس رجلا تماما؟ هل يمكن للمعطى الإبداعي والنقدي أن يتغيّر؟

إذ يبدو أنه خلال بطئنا في استيعاب ما انتجته جامعات الغرب نظريا حول المفاهيم آنفة الذكر – ونحن التابعون دائما لها – داهمتنا التغيرات البيولوجية التي عصفت بالكائن البشري وعاقبته على تطرّفه وظلمه، حتى أصبحنا نسمع اليوم من يردد أن نسويات السبعينيات أكثر رحمة مما نعيشه ونحن نواجه ظاهرة "المثلية" التي حرّرت العقل من سلطة الجسد، لكن فورتها عالميا تضعنا مجدّدا أمام مفترقات طرق صعبة، إذ لطالما كان الجسد واجهة لأي نتاج أدبي أو نقدي نتعاطى معه، حتى أن إسقاطات نقدية تحمل إيحاءات جنسية كنّا نتقبلها على مضض ظنّا منا أنها صادرة من نقّاد عارفين، مثل استعمال مصطلح "فحول الشعراء" و"عقدة القضيب عند الشاعرة فلانة" و"شاعرة ذات فرج مبتور" وما إلى ذلك من المصطلحات الذكورية العنصرية التي بالغت في جعل منصة النّقد منصة لجلد الأنثى، وتجريدها حتى من مكتسباتها الأدبية لا أعتقد أنّها لامست روح النصوص بقدر ما شوّهتها باسم "سلطة النقد". لقد كانت وولف أكثر إنصافا لبنات جنسها حين تحدّثت عن الغرفة الخاصة بها من أجل الكتابة، وأعتقد أننا لا نزال على مدخل تلك العتبة مصدومين بما سيحدث مستقبلا. نحن أمام خيارات أن نمضي في طريق التبعية

غرفة تخصّ المرء وحده

أو نخرج تماما من المشهد الثقافي العالمي وما يترتب عنه من رؤية نقدية جديدة للآثار الأدبية والإبداعية التي تنتجها أدمغة لا "جنس" لها.

من حقنا هنا إذن أن نحصل على إجابات عن أسئلتنا، ماذا حققنا كنساء؟ وإن لم نحصل على أي جواب كما ألفنا، فمن حقنا أن نعيد صياغة نفس الأسئلة بطرق مختلفة قبل نهاية القرن الحالي وبعده والمطالبة بتجاوز النقطة صفر التي نقف فيها منذ قرن على الأقل.

ثمة حقائق يجب الاعـتراف بها والتأمُّل فيها، والاستيقاظ من وهم أننا نملك حركة نسوية على سبيل المثال، ونقصد هنا حركة ناقدة تطرح أفكارا للنقاش دون خوف من "سلطة المثقف الذكر" الذي لا يتردّد في قطع رأس أي أنثى تفكّر فعلا، راغبة في استقلال وانفصال كاملين عن امبراطوريته التي يتحكّم فيها وفق منظوره الضيق للمرأة.

أكثر من اسم لناقدات عربيات، يشاركن لتلوين ملتقيات النقد والأدب بألوان زاهية في محافل أقرب للترويج السياسي منها لمناقشة الأفكار، فمن الناقدة التي يذكر اسمها مثلما تُذكر إيما غولدمان أو فرجينيا وولف (مطلع القرن العشرين) أو سيمون دي بوفوار لاحقا، أو آني إيرنو الحاصلة على جائزة نوبل مؤخرا؟

قد تكون الإجابات مفيدة لي ولكم إن توفّرت!

على خطى «بنت» أنور وهبة

زهراء المنصور

تتلاطم الكثير من الأفكار المتضاربة حين نقرأ أو نستمع إلى تجارب الإناث الأولى التي اخترقت عادات المجتمع الصارمة، تلك التي قبلت أن تكون في موقع لم يسبقها أحد فيه. وكثير من الظروف المختلفة التي هيّأت الأنثى أن تكون في موقع حصد شارة أول الظهور؛ كالرغبة، والطموح، أو وجود المثل الأعلى والقدوة / تشجيع الأهل / استجابة لرفقة أو صديقة؛ كثير من هذه الأسباب وغيرها جعلت منها الأولى، ثم انطلق بعدها من شهدن على نجاح الخطوة، وأردن أن يسرن على نفس الدرب. وإذا كان هذا ينطبق على كل نواحي الظهور العلني للمرأة في المجتمع المغلف، المتكتم، الذي يهاب ذكر اسم الأم الصريح؛ قلقاً، وليس احتراماً، وإذا قبل وانساق لعمل الأخت والزوجة والابنة في المهن المختلفة، فكيف يقبل أن تخرج متفردة ولها اسمها وشخصيتها البعيدة عن الكيانات الجماعية في العمل المعتاد؛ كالمدارس، والمستشفيات، والأماكن الأخرى المتاحة، والمقبول عملها فيها؟

إن في قراءة السير الذاتية للممثلات مؤشرات واضحة على أن الطريق دائماً لم يكن ممهداً، إلا في حالات نادرة جاءت بمساندة من وجود أحد من الأهل مؤتمن على من معه، فلا يخشى من كلام الناس وحديث المجتمع؛ مثل أن تكون وحيدة بين ذكور، ليست بينها وبينهم صلة قرابة، وثمن هذا أن تدفع الممثلة من سمعتها وسمعة أهلها الذين سمحوا لها بهذا العمل – ولو لوقت من الزمن – ولا حكم لأي حكم على المجتمعات، إلا ما قد يستحدث من المجتمع نفسه، حيث التطور التلقائي الذي يحدث بمرور الوقت، كما يعلمنا التاريخ ويرسخ هذا المفهوم التجارب السابقة.

وكي لا تبدو هذه مادة مطروقة تكررت في مراجع وشهادات شفهية في مهرجانات ومناسبات استضافت ممثلات للحديث عن تجاربهن في الدراما المتاحة، من مسرح وتلفزيون وسينما وإذاعة، ستتم الإشارة إلى جانب من تجربة الممثلة البحرينية التي دخلت مجال الفن من خلال المسرح؛ على اعتبار أن أبا الفنون هو البوابة التي ستنطلق منها إلى عالم الفن. وسواء كان هذا عبر أكاديمية الفنون ببغداد، أو الدراسة الأكاديمية التي سلكتها مبكراً، وتحديداً منذ وقت افتتاح معهد الدراسات المسرحية، ومن بعده المعهد العالي للفنون المسرحية في دولة الكويت، والتي استقطبت أسماء بحرينيات هاويات، آمنَّ بموهبتهن وبتكريسها أكاديمياً، فكنَّ حملة راية البداية؛ بداية الحلم الذي ربما لم يتحقق كما يجب. فكيف كان ذلك؟

من خلال قراءة تاريخ المسرح البحريني عبر مصادر مكتوبة وشفهية، يعتبر خروج المرأة للعلن في وقت مبكر إنجازاً، في الوقت الذي لم يمنح بعد حق التعليم للإناث في بعض دول المنطقة حولنا. والعلن المقصود به هنا: كل الفضاءات التي تسلط الأضواء عليها في المسرح والإذاعة والتلفزيون، ولاحقاً السينما. والمسرح، باعتبار أنه البداية التي جاءت مع التعليم النظامي في المدارس، منذ افتتاح الهداية الخليفية في العام 1919، ومن ثم بدأ في عرض «قاض بأمر الله» في العام 1925، وما رافق هذه البدايات من جمال ومتعة الجديد، لم يصمد طويلاً، لأن السنوات – منذ تاريخ هذا العرض وحتى عام 1975– ليست تاريخاً متواصلاً من العمل المسرحي، فقد كان ينشط لفترة زمنية، بعدها ينحسر إلى أجل غير مسمى، ودون أسباب واضحة موثقة لكي يفهمها من يقرأ تاريخ المسرح بعد ذلك.

لذا يرى الشاعر الكبير قاسم حداد أن التجربة المسرحية في البحرين تبدأ من مشارف السبعينات، التي يرى أنها بداية الحركة المسرحية، بعد تقسيم الفترات؛ منذ البداية المدرسية في المسرح الحكومي المدرسي، ومن ثم في العام 1940 في المسرح الأهلي، ولاحقاً في الخمسينات عبر الفرق التمثيلية الجامعة لفنون أخرى غير المسرح، ثم مرحلة الوضوح والاستقرار النسبي عبر الفرق المسرحية عام 1971. وفي خضم كل هذا، وفي ظروف مجتمعية تقبل دخول الذكور في المسرح على مضض، باعتباره مجال تسلية وفرجة مباشرة، كيف كانت ظروف دخول الإناث في ذات المكان؟

يرصد كتاب «التجربة والأفق» التجربة الجديدة في العام 1945 مع مسرحية «الهادي»، التي قام بإعدادها وإخراجها محمود المردي، بظهور أول فتاة على خشبة المسرح، وهي من الجنسية المصرية، حيث إنها ابنة أنور وهبة، أحد أعضاء البعثة التعليمية حينها، وممثل بنفس العرض (1). ولعل هذا سبب مطمئن يجعل من وجود العنصر النسائي مقبولاً حسب شرع المجتمع، لأن هذا الوضع قد تكرر في العام 1969، حين شاركت الممثلة نجلاء أحمد في عرض مسرحية «بيت طيب السمعة»، والذي عرض في الكويت أيضاً، وكانت بمعية شقيقها الممثل عبدالله أحمد عبدالله بنفس العرض، في الوقت الذي أكد فيه الفنان الكبير الراحل محمد عواد أن فترة السبعينات من القرن الماضي لم تشهد هذه النظرة القاسية لوجود العنصر النسائي ضمن طاقم التمثيل، كما ألمح لها وأشار قاسم في بعض مواضع كتابه، بل ذكر أن وقت «البروفة» المسرحية كان طويلاً، تكون فيه العلاقات مبنية على الاحترام، ويغلب عليها روح الأسرة الواحدة. كما أشار عواد أيضاً إلى سهولة دخول الممثلات القادمات من فرق شعبية، حيث القابلية تكون أكثر، وأيضاً لكون معظم هؤلاء يعملن مع أفراد من عوائلهن، أو معارف العائلات، مثل: موزة خميس، وموزة سعيد. وما يعزز رأي عواد، هو قائمة مؤسسي مسرح أوال في 1970، الذي ضمن اسم الآنسة سلامة مرزوق مع

ثمانية عشر عضواً من الذكور.

أما الحالة الثالثة، فهي اسم لم يذكر على الإطلاق من قبل في أي مرجع لتاريخ المسرح البحريني، أو حتى ضمن طاقم أي عمل مسرحي، وهي أنيسة العلي، التي كانت أول بحرينية تدرس في معهد الدراسات المسرحية، الذي يدرس مواد الفنون المسرحية، وقبل أن يتخصص في الفنون المسرحية؛ من نقد وأدب مسرحي، وتمثيل وإخراج وديكور، ويصبح ما هو عليه الآن: المعهد العالي للفنون المسرحية. والعلي، التي قدمت مع زوجها آنذاك للدراسة في الكويت، كانت تطمح أن تكون «ماكييرة» وليس ممثلة ، مبررة ذلك بـ»الظروف والناس»، وهي «بنت خليجية»، و»اللبيب بالإشارة يفهم!»(2). ومع هذه العبارات التي صرحت بها للمجلة، يفهم القارئ السياق الاجتماعي التي عنته أنيسة، والعائق أن تدرس ما تحب، أو أن تأتي منفردة لدراسة فنون، وليس أي تخصص آخر. وهذا يعني القبول المجتمعي في حال وجود «ولي أمر» موافق، ويعزز أيضاً وجهة نظر قاسم حداد عن كون المشكلة في المجتمع، وليس الفن، وموضوع الاستمرارية يعود لأسباب متعددة، وظروف متعلقة بقلة أو انعدام الفرص وإنتاج العروض، أو ربما هذه الحالات حسبت أنها مرحلة مبكرة من أعمارهن وانتهت، لتأخذهن الحياة في المسار المعتاد لعيش النساء في الخليج.

في كل الفترات، ظهرت أسماء وتراجعت أسماء، كلها على استحياء، دون القدرة على استحضار اسم استمر في مجال التمثيل، حتى حين تجرّأت الفتاتان بروين زينل وفاطمة شويطر في منتصف الستينات للوقوف أمام العلن في معرض البحرين التجاري والزراعي، لم يستمر هذا لصالح المسرح، بل إنهما اتجهتا إلى الإذاعة، ولوقت طويل أيضاً، إلى أن ظهرت حياة الخطيب التي درست المسرح في أكاديمية الفنون ببغداد، وتخرجت في منتصف السبعينات، ومثلت وعملت مساعد إخراج مع الفنان خليفة العريفي في مسرحية «سرور»، ثم عملت – منفردة – مخرجة لنص «المنجم»، وهو نص شعري لمعين بسيسو، ثم لحقت الأخريات اللاتي آثرن خوض مجال آخر بإرادتهن، أو حسب ظروف الحياة.

ورغم أن الخطيب قد مهّدت لدراسة التمثيل دراسةً أكاديمية، تبعتها أخريات فيما بعد، على سبيل المثال لا الحصر: أمينة القفاص، وأحلام محمد، وماجدة سلطان، وأخريات، ولكل اسم من هذه الأسماء عائلة تدعم وتساند – حسب رواياتهن الشخصية –، وهذا يدل بشكل حي على التغيير المجتمعي والوعي الذي أتى به الوقت، ويثبت هذا أيضاً أن المسألة – فعلاً – ليست متعلقة بالفن أو المسرح، ولكنها تتعلق بالمجتمع نفسه! وربما في هذه الحقبة يخفت السؤال: كيف ينظر المجتمع إلى الفتاة على خشبة المسرح؟ وكيف يتعامل زملاؤها المشبعون بالعادات التي تجعلهم لا يسمحون لأخواتهم أن يمثلن معهم أو بدونهم؟! وكيف ينظر المجتمع أصلاً إليها؟

بينما في تجربة مشابهة، وفترة زمنية قريبة، كان ظهور فنانتي الكويت مريم الصالح ومريم الغضبان، بالإضافة إلى رفض الأهل القاطع، يعتبر خرقاً لعادات المجتمع حينذاك، لكن الفرق في تدخل أسماء كبيرة ومهمة من أجل موافقة أسرتيهما، وتوفير العناية والاهتمام والأمان. الفرق بين الظرفين هو التشجيع والدعم الذي جعلهما في الصدارة لوقت طويل جداً، مع أخريات خضن نفس التجربة، وتقديمهن إلى المجتمعات الفنية والأوساط الإعلامية بأنهما: أول فنانتين من الكويت، وهذا وحده كفيل بصنع فخامة تليق بمشوارهما الحافل، بالإضافة إلى الموهبة التي تطورت بالدراسة والممارسة بالتأكيد.

يحمل تاريخ الممثلات في البحرين إرثاً وثقلاً وتجارب صقلت ولمعت ثم خفتت، ومثلت وجهاً حضارياً. لكن ثمة ممحاة مسحت جزءاً من هذا الجهد، وهذا العطاء. وإلا فأين ذهبت الأسماء النسائية التي وردت في كتب مسرحية لمؤلفين في الخليج؛ مثل د.حسن رشيد، د.نادر القنة، أو د.محمد حميد السلمان، وغيرهم؛ ولم نسمع عنها لاحقاً؟ لمَ لم تكتمل تجاربهن؟ بل إننا لو فكرنا في حصر عدد المشتغلات في المسرح، سيحتاج هذا إلى مجهود كبير، مشروط بأمانة الباحث. إذ كيف يكون الحصر إذا لم يظهرن في المحافل المخصصة لهن، ونحن لدينا قصور في إبرازهن بشكل محدد لائق، بعد إلغاء مسابقات التميز في الفنون المسرحية، وعدم وجود دعم كافٍ لإنتاج عدد أكبر من العروض المسرحية، وحتى العروض الموجودة تكون بمقاييس مهرجانات بعينها، أملاً في المشاركة الخارجية، والتعريف بالعمل المسرحي البحريني. ولو عدنا إلى ما قبل هذا، سنجد البعثات الدراسية للفنون المسرحية التي حولت إلى جهة غير الجهة المعنية، ومن قبل هذا كله حصص الموسيقى والمسرح في المدارس، التي دخلت في نطاق التحريم من عدمه دون حسم. فمن أين لنا، بعد هذا كله، بحركة مسرحية نشطة أصلاً، ذكوراً أو إناثاً؟

قضية محلية شديدة التعقيد، شديدة الأهمية، وشديدة الحساسية، مناقشتها تحتاج إلى حلقات جدية ممن يعنيهم الأمر فعلاً، ويرغبون في تغيير الواقع إلى ما هو أفضل من الآن، وعدم الاستسلام للظروف التي تفرض التجميد وتجاهل التعامل، في حين تتم الاستعانة بأخريات من الخارج، أقل موهبة وحضوراً، مع وعي وإدراك أن طبيعة المسرح التنويرية تفرض أن يكون أسرع من خطوات المجتمع البطيئة. لكن الزمن لا يسترضي أحداً، ولا ينتظره. وكما لم تأتِ المصادر على ذكر اسم ابنة أنور وهبة بعد عرضها اليتيم، ولم يهتم أحد بمعرفته أصلاً، سيؤول نفس المصير للأجيال التالية، ولن يهتم أحد بذكر من أتى لاحقاً!

الهوامش

المسرح البحريني التجربة والأفق 1925–1975، قاسم حداد، مسرح أوال، 2016

حوار أنيسة العلي مع عبدالعزيز الحداد، مجلة عالم الفن، الكويت 16 فبراير 1972

قصة قصيرة

الطلاق الطائر

كان الظلام والصمت والهدوء يرونان على ركاب طائرة «اللوفتهانزا» الألمانية القادمة من كندا مروراً بامستردام في طريقها إلى إحدى العواصم العربية، ولم يكن يخرق ذلك الهدوء سوى صوت مجلجل لحديث يبدو أنه من طرف واحد. هل هذا راكب يتحدث إلى نفسه أم أن الطرف الآخر أطرش او غير مسموع الصوت ؟

عصمت الموسوي

اقتربت راكبة تجلس في الخلف من ذلك المقعد وتوجهت بنظرها إلى مصدر الصوت حيث يجلس رجل بجانب زوجته وابنه قائلة: معذرة يا سيد، أنت تتحدث بصوتٍ عالٍ وتقلق هدوءنا ومنامنا. عادت الراكبة الى مقعدها بخفة. استلقتْ وغطت عينيها بإحكام، وما هي الا لحظات حتى قام الراكب من مقعده وتوجه اليها بغضب: من أنت حتى تتتجرأي عليّ بهذا الكلام أيتها المنحطة؟

عاد إلى مقعده وراح يزبد ويرعد متوعداً ومهدداً ومتحدثاً عن حقه في الكلام أسوة بحق غيره في النوم، سرت همسات خافتة وسط الركاب وتوجهت الأنظار إلى مقعد الراكب، استيقظ النيام ورانوا بأبصارهم إلى الجلبة، بادرت كبيرة المضيفات بالتدخل وقامت بتوبيخ الراكب وأمرته باحترام المسافرين النائمين. استعادت الطائرة هدوئها وعاد الجميع إلى النوم مرة أخرى، التفت الراكب إلى زوجته وسألها: هل أعجبك هذا التصرف يا نرجس؟ لماذا تغطين وجهك يا «مرة» ؟ افتحي وجهك.

ظلت المرأة ساكتة، إلا أنها تلقت تهديداً من نوع آخر . سوف أعدّ إلى الثلاث إذا لم ترفعي برقعك فأنت طالق، واحد، اثنان، ثلاثة. نفّذ الرجل وعيده وطلق زوجته بالثلاث، التفت الرجل إلى طفله الصغير الذي يجلس متوسطاً أبويه وسأله: وأنت يا عادل هل ستأتي معي إلى البيت أم ستذهب مع أمك إلى بيت خالك؟. لم يجب الطفل، وعاد الرجل موجها السؤال إلى طليقته، بيد أنها ظلت ملتزمة الصمت وأشاحت بوجهها عنه مصوبة نظرها نحو الشباك. اقتربت الرحلة من نهايتها فعاد الأب يسأل ابنه: هل ستأتي معي أم ستذهب الى خالك؟ قال الطفل: أريد أن أكون مع ألعابي .

هبطت الطائرة والتقط المسافرون حقائبهم بينما أمسكت نرجس بيد طفلها الذي اصرّ على فتح حقيبتها واخذ كيس ألعابه، قبل خروجه من المطار تلقى الاب إنذارا يطلب مثوله لمكتب الأمن على خلفية شكوى تقدّمت بها راكبة على نفس الطائرة ادعت أنه أهانها وصرخ في وجهها، وفتح محضر تحقيق في الواقعة.

بعدها بساعة وقفت نرجس أمام مكتب الامن ذاته لتبلغ عن اختفاء ابنها. تمّ استدعاء الأب والأم إلى مركز الشرطة في المدينة صباح اليوم التالي للتحقيق في الواقعة.

ضابط الأمن: ما اسم الطفل وكم عمره وما علاقتكما به؟

الأب: عادل في العاشرة انه ابني وهذه أمه.

الأم: أنا طليقته، زوجي طلقني البارحة في الجو ونحن في الطائرة

ضابط الأمن متعجباً: في الجو ؟

توجه الضابط بالسؤال إلى الأب؟ ولماذا تطلق زوجتك في الجو؟ هل كان الأمر مستعجلا إلى هذا الحد؟

الأب: «قهرتني». قلت لها ارفعي نقابك فرفضت، هددتها بالطلاق فلم ترتدع

الضابط متوجهاً بالسؤال إلى الزوجة: ولماذا لم تطعي زوجك؟

الزوجة: لقد تعرض لإهانة شخصية أو بالأحرى لصفعة لفظية، وأراد مني أن أشاركه في تلقيها، لقد غطيت وجهي خجلاً من نظرات ركاب الطائرة، ولتفادي الإحراج.

الضابط: أنتما في رحلة سفر والمرأة تقف مع زوجها في السراء والضراء.

أضافت الزوجة: والإهانات؟ إنني يا سيدي أتعرض مع هذا الرجل العصبي المزاج لمواقف شتى و عديدة أمام طفلي وعائلتي وأمام الناس فأستعين بهذا النقاب للإختباء ولحماية نفسي من النظرات والسخرية والاستهزاء.

الزوج: تغطي وجهها إمعاناً في اهانتي وانتصاراً لأعدائي وانحيازاً لخصومي، أقول لها مراراً: ابتعدي عن هذه الخصلة السخيفة، لا تغطي وجهك أثناء المحن التي أتعرض لها قفي معي، تحدثي الي، خففي عني، ولا تغلقي على نفسك وتتركيني أعاني وحيداً. أضاف: ينتابني شعور أنها تضحك عليّ من خلف نقابها.

الضابط: لا عجب أن يهرب ابنكما من هذا الوضع!

أجابت الزوجة: ابني على شاكلتي يرى نفسه مشوشاً وتائهاً في المواقف الصعبة والمهينة التي يزجنا فيها أبوه، وقد سمع أباه يطلقني مراراً، فيجد نفسه أمام أمرين كلاهما مرّ، فإما أن ينتهي أمره معي ومع خاله الذي لا يطيقه، او مع أبيه وزوجته الثانية، لقد هرب الولد فراراً من كل ذلك.

نشرت الصحف الخبر نقلاً عن مصدر أمني في المطار: هروب طفل في العاشرة من عمره على خلفية خلاف زوجي وخروج الزوجة عن طاعة زوجها.

ليست لك..

إنما لها أعتذر منك أستاذي لأقدّم شكري لها أولاً، فهي من صبرت وتحملت ووقفت وضحّت بأشياء كثيرة من أجل أن تقف أنت اليوم شامخاً مُعْتَرَفاً بك وبنهجك الثقافي التنويري المتقدم. هي صاحبة الحب الكبير والعطف الكثير والحنان المتدفق، هي السكون والسكينة، هي الجدار الذي تستند عليه وهي المنبع الذي تأخذ منه كل الحب ! هي الصدر الذي تبكي عليه وأنت مطمئن، فهي الخير كله والكرم كله هي المرأة التي يتمناها كل رجل، من منا لا يتمنى امرأة بكل تلك الصفات، تكمن عظمتها في تصوري عزيزي القارئ في أبيها، ذلك العالم الكبير محمد باقر الشخص رحمه اللّه وغفر له، الذي رثاه أستاذنا بأجمل القصائد وكان مطلعها يقول :

محمد الفلاح*

أكذا يقذف البراكينَ نبعُ
أكذا يرهف الصوارمَ درع ؟

تصوّر وكن معي حاضراً عزيزي القارئ وتخيل عندما تنشأ في بيت رجل دين من النجف الأشرف وفي بدايات القرن العشرين وما يحيط بهذا المجتمع من تشدد ومحافظة، وتخرج إلى بيت شاب قدم من الأحساء وتفتح وعيه من جديد على ظواهر وأفكار جديدة، بدأت تغيّر أشياء كثيرة لم يعد مقتنعاً بها، بل يصل الأمر إلى خلع العمامة التي كانت رمزاً للمجتمع في ذلك الوقت وإلى اليوم، وتصبر، بل وتقف معه كما قال: لي على لسانه هو "أم عادل كانت معي معمماً وغير معمم ولم تتخلَّ عني يوماً من الأيام". وعندما طرحت عليه تساؤلاً آخر وقلت: "كيف تحملتك أم عادل طوال تلك السنوات " ردّ قائلاً: "فعلاً فأنا لا يتحملني جبل".

لو تساءلت معي عزيزي القارئ ما سر تلك العذوبة والرقة والعاطفة التي ملأت قلبَ أبي عادل بل وتجعله أكثر بوحاً بها وكل متتبع لمقالات محمد العلي الأخيرة يلاحظ ذلك وبكل وضوح، وهي عاطفة كان يبوح بها للقريبين منه جداً ولكن اليوم يقولها للملأ دون أي تحفظ أو خجل ودونما أي اعتبار لاسم محمد العلي الذي أصبح أيقونة للأدب واللغة والثقافة والتنوير، ماذا حدث كي يصبح العلي بهذه الرقة الشديدة ؟

أولاً الفقد ياصديقي القارئ، كان كبيراً ولم يعوّض رغم مرور سنوات عديدة، فتلك المرأة لا يجود بها الزمان في كل وقت؛ فهي مثل الكنز تعرف قيمته بعد فقده. ثانياً لم يعد يجد صدراً يبكي عليه دون خجل، صدر يعطيه الأمان والحب، صدر يأخذ منه كل الذبذبات السلبية ويعطيه الثقة بأنه يفكر بشكل جيد وأن المشوار أمامه طويل جداً يحتاج لصبر، فالبناء الفكري غير كل الأبنية محتاج لزمن طويل جداً.

وهنا يأتي تساؤل آخر منك أيها القارئ الكريم، كيف استطاعت تلك المرأة ذات التوجه الديني أن تمنح ذلك الإنسان المتمرد كل تلك الطاقة لمواصلة المشوار فهي ابنة رجل دين في نهاية الأمر. هذا التساؤل يجعلنا نقف قليلاً ونتأمل البيئة النجفية والبيت النجفي الذي نشأت فيه أم عادل والتفكير الديني ورجل الدين والحوزة الدينية وطرق التدريس فيها لنفهم بعد ذلك أن رجال الدين مختلفون في تفكيرهم الديني والاجتماعي والثقافي بسبب طرق التدريس بالحوزة الدينية، ويعني ذلك أن المرأة التي تزوجها محمد العلي لم تنشأ في بيت محافظ جداً بل هناك قليل من الحرية

ونتيجة تلك التربية كانت تلك الشخصية الفريدة التي التقت بشخصية الأستاذ لتشكل لنا ثنائيا فريدًا من نوعه لا يمكن أن يتكرر في أي زمان أو مكان لأن الظروف تغيرت والأزمنه لم تعد كما كانت.

أعتذر منك أستاذي مرةً أخرى لأقول للراحلة العظيمة أم عادل شكراً ومن الأعماق لقلبك الكبير الذي ينضح بالحب والعطاء، وشكر خاص على كل ما قدمته للأستاذ والمجتمع، فخلف كل رجل عظيم أمراة عظيمة، ما أنطق به اليوم شهادة حق لصاحبة حق.

* كاتب من السعودية

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

التقدمي

التقدمي العدد 182 ـ يناير 2023 السنة الواحد والعشرون SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

لا تثق بالحقيقة..
بل بخيالك عنها

نص: مهدي سلمان

أعطيتُ للقلب عوداً قديماً
وقلتُ لهُ: ها هنا
قف على نغمة «الأوج»، واعزف مطولة لبكائك
إن كنت قررت أن تتكلّمَ، فاترك
على ما تقول، دليلاً لهم كي يجيئوا إليك
ووقتا لئلا تطول انتظاراتهم
وبابا لكي يكسروه عليك، وريشا لكي يعرفوا أين أنت
وصمتا لينتبهوا حينما يطؤون على قبرك المرتجى
وطريقا يعودون منه إلى يأسهم
ها هنا
وأَطِل في «العراق» وقوفك،
إن كنت ترجو الشفاء من البوح يا صاحبي،
فاحكِ ما لم يكن أولا، لا تثق بالحقيقة
بل بخيالك عنها، وضع «ما جرى» بين قوسين
إن الذي صار، أنهى احتمالاته،
فدعه لهامشه، أنت صوت احتمالك
لا تنس، لست هنا كي يصدقك الآخرون
ولكن لكي تتصدّق بالآخرين على الآخرين

ولست هنا كي ترى أو تُرى
إنما تتراءى،
انتظر
أن تصير احتمالاتك الواقعَ المحض
حتى يكون لما ستقول
دليلا، ومعنى، ورمزا يضيع من القصد
أو من وضوح القصيد
فيصبح عودا قديما
يُغنّى به، أو يُغنّى عليه.

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي

ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com